د. عبد الحسين شعبان

مُذكّرات صَهيوني

يوميّات إيغون ريدليخ في معسكر تيريزين

الأفين

يلقي ييرجي بوهاتكا ضوءًا كاشفًا على يوميّات الزعيم الصّهيوني التشيكوسلوفاكي "إيغون ريدليخ" العضو القيادي في منظّمة "ماكابي هاكير" الصهيونية, الذي كان معتقلًا في معسكر تيريزين قبل نقله إلى معسكر أوشفيتز ويدمغ بصورة قاطعة تعاون القيادة الصّهيونيّة مع الاحتلال النازي التشيكوسلوفاكيا، باعتبارها طابورًا خامسًا، ليس ضدّ مصالح الشّعب التشيكوسلوفاكي فحسب، بل ضدّ مصالح الأغلبيّة من الجماهير اليهوديّة، حيث كانت كما تفصح ذلك يوميّات إيغون ريدليخ، ترسل الألوف من اليهود، "المتمثّلين" وغير المتمثّلين إلى معسكرات الإبادة الجماعيّة النازية مقابل وعود نازيّة بإرسال بضع عشرات ومئات من القيادات الصّهيونيّة وأصحاب رؤوس الأموال إلى فلسطين.

كان إيغون ريدليخ يومها شابًّا صهيونيًّا مهتمًّا بعمل الشباب وقد تمّ اختياره ليكون مسؤولًا عن قسم رعاية الشباب في المعسكر، وعن الإسكان والتعليم للأطفال الذين كانوا في معسكر تيريزين.

وقد سجّل في مذكّراته منذ بداية وجوده في تيريزين حالات الخوف واليأس في ذلك الغيتو "الحي" اليهودي عاكسًا الحياة اليوميّة والثقافيّة والمرض والموت والشائعات والآمال الخائبة، إضافةً إلى الشعور بالذّنب.

وتعد اليوميّات وثيقة دامغة لتجربة الهولوكوست ودور الصهيونية فيها بما لها من جوانب إنسانيّة مرعبة.

يحيى يخلف
وزير الثقافة الفلسطيني الأسبق
ورئيس اتحاد الكتاب والصحافيين
الفلسطينيين الأسبق

إخراج وتصميم:

ISBN 978-9-9226717-5-6

daralrafidain
daralrafidain
دار الرافدين daralrafidain
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
Dar ALRafidain دار الرافدين

مُذكّرات

صَهيوني

يوميّات إيغون ريدليخ
في معسكر تيريزين

مذكّرات صهيوني..
يوميّات إيغون ريدليخ في معسكر تيريزين

ترجمة وإعداد: د. عبد الحسين شعبان

تصميم الغلاف: سنا شعبان

Zionist notes

Egon Redlich's Diary at Camp Theresien

By Dr. A. Hussain Shaban

الطبعة الأولى: أكتوبر ـ تشرين الأول، 2022 (1000 نسخة)

Copyrights@Dar Al _ Rafidain2022

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة/ All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

بغداد ـ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 9647811005860+/9647714440520+

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين

daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 75 - 8

مُذكّرات صَهيُوني

يوميّات إيغون ريدليخ في معسكر تيريزين

ترجمة وإعداد

د. عبد الحسين شعبان

www.daralrafidain.com

الفهرس

الإهداء 7
عوضًا عن المقدّمة 9
كيف نقرأ المذكّرات؟ 21
1 ـ عنصريّة الصهيونيّة 24
2 ـ الصّهيونيّة والفاشيّة 30
3 ـ اللّاساميّة 32
4. مفهوم الأمّة اليهوديّة العالميّة ـ اللّامكانية Exterrtoriale 36
توطئة بقلم ييرجي بوهاتكا 41
من هو إيغون ريدليخ؟ 45
العقد 47
تحت حماية النازيّين 49
المدينة الممنوحة 51
لأجل جوٍّ الثّقة المتبادلة 53
امتحان آخر للطبائع 55
إنقاذ القياسات الصّهيونيّة 57
حدود الإنسانيّة 60
بروح تقاليد الهستدروت القادمة 62
التربية لأجل التوسّع 67
الدّيمقراطيّة على الطّريقة الصّهيونيّة 69
على غرار مندلر 71
دُمى أم ممثّلون؟ 74
خاتمة 77

مختصرات 79
الملاحق 81
جورج حبش.. الاستثناء في التفاصيل أيضًا 81
لينين.. كراكوف وأوشفيتز 85
«تفاهة الشر» 88
بوستروم ـ يفسييف.. ما أشبه الليلة بالبارحة 91
بطاقة شخصيّة 97
فهرس الأعلام 105

الإهداء

إلى

غسان كنفاني

عوضًا عن المقدّمة

كتاب وحكاية

حين ضيّفني «اتّحاد الأدباء والكُتّاب» في العراق (بغداد 20 ديسمبر/ كانون الأول 2017) للحديث عن تجربتي الفكريّة والثقافيّة، فضّلتُ الكلام عن الكُتب، ومن خلالها سردتُ شيئًا عن رحلتي مع الحرف والكلمة، وكان ممّا جئت عليه هو الكتاب الذي نحن بصددِه، وأعني به «مذكّرات صهيوني»، وهو عنوان وضعتهُ لمقالات بقلم **ييرجي بوهاتكا**: الكاتب والصحافي (كما ورد في تعريفه) والموسومة: «**عندما كشف النقاب في يوميّاته**» أو «عندما تحدّث في يوميّاته» والتي عرضَ فيها برؤيةٍ نقديّة مذكّرات، أو الأصحّ «يوميّات» **إيغون ريدليخ** عضو قيادة المنظمّة الصهيونية **ماكابي هاكير** في معسكر تيريزين.

جدير بالذِّكر أنَّ التقريظ لمذكّرات ريدليخ كان قد نُشر في مجلّة **تريبونا** Tribuna [1] «المنبر»، وعلى أربع حلقات، وقد لفتتْ انتباهي إليها إحدى المُستشرقات لمعرفتها باهتماماتي بالقضيّة الفلسطينيّة، فبادرتُ بترجمتها وإعدادها للنّشر، وكان ذلك عشيّة عودتي إلى العراق بانتهاء دراستي وقد

(1) انظر مجلة Tribuna الأعداد: 1 و2 و3 و4، كانون الثاني (يناير) 1974 (باللغة التشيكية).

أرجئت النّشر في حينها لالتحاقي بالخِدمة العسكريّة الإلزاميّة، ولكن، يدُ الزمن كانت قد عبثت بها بعد مصادرة مكتبتي وثلاث مخطوطات من جانب الأجهزة الأمنيّة، كنت قد جهّزتها للطبع في حينها، وذلك عند كبْس منزلي بعد مغادرتي بغداد إلى المنفى مرّة أخرى.

في دمشق، خطرت في بالي فكرة إعادة ترجمة النص المذكور لإعداده للنشر، خصوصًا لِما له من دلالة فكريّة وعمليّة في ظرف يستوجب فيه معرفة بعض الحقائق التي ظلّت خافية إلى حدٍّ ما، فما بالك حين يتمّ الكشف عنها هذه المرَّة وعلى لسان أحد قادة المنظّمات الصهيونية؟. وكنت قد اتّصلت بالصديق **موسى أسد الكريم** (أبي عمران) لمساعدته في تأمين النصّ المذكور، فقام مشكورًا بإرسال الأعداد الأربعة من مجلّة تريبونا، على الرغم من مضيِّ سنواتٍ على صدورها.[1]

---

(1) موسى أسد الكريم: من مواليد البصرة، وكان قد تخرّج من دار المعلّمين العالية (فرع الكيمياء)، عمل في الحزب الشيوعي العراقي، واضطرّ للهرب إلى إيران في أواخر الأربعينات من القرن العشرين بعد أن كان قد اشتغل مدرّسًا لبعض الوقت، وفي إيران تعرّض للاعتقال والسّجن عدّة مرّات، وعاد إلى بغداد بعد ثورة تمّوز (يوليو) عام 1958. عمل لفترة قصيرة في إذاعة بغداد، ثمَّ عيِّن مُلحقًا صحافيًّا في بيروت وبعدها مُلحقًا ثقافيًّا في براغ، وقبيل انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963 تمَّ فصله، ولكنّه استقرَّ في براغ حتّى وفاته في نهاية عام 1985، وقد رثاه الجواهري الكبير بإلقاء كلمة مؤثّرة على قبره واصفًا إيّاه بامتلاك مفاتيح الحرف العربيّ، فقد كان يُتقن العربيّة ويتمتّع بذاكرة خصبة وحافظة للشِّعر قراءةً وتذوّقًا، وبالأخص شعر الجواهري، كما كان يجيد الفارسيّة والإنكليزيّة والتشيكيّة. وفي السبعينات من القرن الماضي عملَ في الإذاعة التشيكيّة ـ القسم العربي وكان قد عرف براغ ودروبها وخفاياها وخباياها وأسرارها ومفاتنها، لاتّساع خبرته وعمق تجربته. ومن أصدقائه: عبد الفتاح إبراهيم وفيصل السامر ونعمة النعمة ونوري عبد الرزاق ومهدي الحافظ وعزيز الحاج وعبد اللطيف الشوّاف وشمران الياسري «أبو كاطع»، وعبد الستّار الدوري، وعشرات من خيرة المثقّفين والسياسيّين العراقيّين.

أعدتُ قراءة التقريظ المكتوب من جانب ييرجي بوهاتكا على نصِّ «إيغون ريدليخ» فوجدتهُ أكثر إثارة ممّا قرأته في المرَّة الأولى، ولذلك توقّفت بتأمُّل عنده، لأكتب له تقديمًا، أشبه بخريطة طريق: كيف يُقرأ النص؟.. وما هي الاستعارة الدلاليّة منه؟.. وكيف يمكن توظيفه نضاليًّا كجزء من الكفاح ضدّ الصهيونيّة على الجبهة الفكريّة والحقوقيّة والقانونيّة، لا سيّما على المستوى الدبلوماسي والدولي وبشكل خاص على صعيد المجتمع المدني العربي؟.

منذ مطلع الثمانينات، كنتُ أكتب مادّة أسبوعيّة لمجلّة «**الهدف**» الفلسطينيّة التي أسّسها **غسّان كنفاني** وأعقبه فيها **بسّام أبو شريف** ومن بعده **صابر محي الدين**، وقد بَدأَت علاقتي الحميمة مع مجلة «الهدف» منذ لقائي الأول واليتيم مع غسّان كنفاني في عام 1970 في بيروت، علمًا: أنَّني كنت على علاقة وطيدة بالجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين وبالمقاومة الفلسطينيّة منذ عام 1967 في بغداد، وتعزّزت واستمرّت بالعديد من قيادتها ورموزها ومناضليها إلى يومنا هذا، ولذلك قرّرت نشر المادَّة في مجلّة «الهدف»، وحين علِمَ بها الصَّديق **هاني حبيب** مدير التحرير حينها خصّص لها مكانًا متميّزًا في المجلَّة، وسعى للاعتناء بإخراجِها لتظهَر بما تستحقّه، كما قام بنشر خبر عنها قبل نشرها، إدراكًا منه لأهميّتها للنضال الفلسطيني.[1]

---

(1) استشهد غسان كنفاني في بيروت في 8 تموز (يوليو) عام 1972، وكنت قد التقيته في صيف عام 1970 عن طريق الحزب الشيوعي اللبناني بواسطة خليل الدبس وخليل نعّوس والأخير اغتيل في 20 شباط/ فبراير عام (1986)، وبعده بأربعة أيام اغتيل المفكّر والصحافي الشيوعي القيادي سهيل الطويلة (رئيس تحرير جريدة النداء). وكنتُ قد تعرّفت على شعراء المقاومة من كتابات غسان كنفاني قبل أن أتعرّف

ما إن اكتمل نشر المادّة الموسومة «**مذكّرات صهيوني**» على خمس حلقات (خصّصتُ الحلقة التعريفيّة الأولى للمُقدِّمة) حتى هاتفني الأخ والصديق **تيسير قُبّعة**[1] عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ومسؤول العلاقات قائلًا: «**الحكيم بدّو يشوفك**»، فما رأيك أن نلتقي عنده على الغداء؟.. واتّفقنا على موعد والتقينا في مكتب العلاقات مع **الدكتور جورج حبش**، الذي استمع بصورة مفصّلة لشروحات قدّمتها عن اليوميّات «المذكّرات» و**معسكر تيريزين** الذي كنت قد

على محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيّاد، علمًا: أنّني كنت قد قرأت روايته الشهيرة «رجال في الشمس». وبادر في ذلك اللقاء اليتيم إلى إهدائي روايته «أم سعد» وهو من الكتب التي أعتزُّ بها، وبقي معي في براغ، وحين عودتي حملتَهُ في حقيبتي اليدويّة، ولم أضعه في حقائبي مع حاجيّاتي وكتُبي التي شحنتها إلى بغداد.
أنظر : عبد الحسين شعبان، غسان كنفاني ـ اللقاء اليتيم واغتيال العقل الفلسطيني، مجلة الهدف (الفلسطينية) العدد 40 (1514)، آب/ أغسطس 2022.
واستمرت علاقتي بمجلة الهدف بعد استشهاد كنفاني، حيث تولّى رئاسة التحرير بسّام أبو شريف، الذي كنت قد تعرفّت عليه في المؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي (مطلع عام 1971)، ثم التقيته كثيرًا، وإذا بطردٍ ملغوم يُرسل إليه، لينفجر بوجهه بتاريخ 25 تموز (يوليو) 1972، فيأخذ إحدى عينيه وأربعة من أصابعه، ويفقد جزءًا من سمعه، وبقيت بعض شظاياه «تطرّز» صدره، ولا يزال يحملها إلى الآن. وكانت براغ محطة أساسية لعلاجه، إضافة إلى تردّده عليها بصفته نائبًا لرئيس اتحاد الصحفيين العالمي. وقد وقع حادث التفجير بعد أسبوعين من اغتيال غسان كنفاني.
انظر: عبد الحسين شعبان ـ في الأنا والآخر يكتمل النقد المزدوج/ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ذكرى تأسيسها الـ52، مجلة الهدف، العدد 9 (1483)، كانون الأول/ ديسمبر 2019. قارن كذلك صحيفة «الزمان» (العراقية)، بغداد ـ لندن، العددَين 6555 ـ 6556، 11 ـ 12 كانون الثاني (يناير) 2020. انظر كذلك: عبد الحسين شعبان ـ تيسير قُبّعة: غيمةٌ فضّيةٌ في فضاء الذاكرة/ صحيفة «الزمان» العراقية، حلقتان بتاريخ 29 حزيران/ يونيو و 2 تموز/ يوليو 2016.

(1) انظر: عبد الحسين شعبان ـ تيسير قُبّعة: غيمةٌ فضّيةٌ في فضاء الذاكرة، المصدر السابق.

زرتهُ وكذلك **معسكر أوشفيتز** الذي سبق لي أن زرته أيضًا كما سيأتي ذكره، وعن موقف البلدان الاشتراكية السابقة من الصهيونية والنشاط الصهيوني، وكانت حينها قد أُسّست «**اللجنة الاجتماعية السوفييتيّة لمناهضة الصهيونيَّة**» بمبادرة من **يوري أندروبوف** الذي تولّى الأمانة العامّة للحزب الشيوعي السوفييتي، لكنّه لم يستمرّ طويلًا، فقد وافتهُ المنيّة سريعًا، كما تطرّقنا إلى موضوع تأسيس «**اللجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة 3379**» على هامش ندوة نظّمها «الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين»، بمبادرة من الدكتور جورج جبّور وكاتب السطور، وأصبح جبّور رئيسًا لها وكاتب السطور أمينًا عامًّا.[1]

واستفسر الحكيم عن إمكانيّة الحصول على نصِّ المذكّرات «اليوميّات» الأصليّة كاملةً وبلُغَتِها الأصلية، خصوصًا وقد استوقفه وجود «إيغون ريدليخ» في معسكرَي: تيريزين وأوشفيتز (أشهر المعسكرات النازيّة) والذي تعاون مع جهاز الغاستابو لنحو أربعة أعوام، ومع ذلك فقد تمَّ إعدامه هو وزوجته وابنه في عام 1944 دون أن تشفع له الخدمات الكبرى التي قدَّمها للنازيّة بما فيها تعاونه ضدّ أبناء جِلدته بالتواطؤ على إرسالهم إلى المجهول مقابل إرسال بضع

---

(1) أُسّست اللجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة 3379 عام 1986 وضمَّت شخصيّات مهمّة: إنعام رعد (لبنان) وناجي علّوش (فلسطين) وعبد الرحمن النعيمي (البحرين) ود. غازي حسين (فلسطين) وعبد الفتاح إدريس (فلسطين) وعبد الهادي النشّاش (فلسطين) وغطاس أبو عيطة (فلسطين) وصابر محي الدين (فلسطين) وسعدالله مزرعاني (لبنان) وجورج جبور (سوريا)، وعبد الحسين شعبان (العراق). وقد أصبح اسمها «اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية»، وقد اختير رئيسًا لها إنعام رعد خلَفًا لرئيسها السابق جورج جبّور، كما اختُير أمينًا للسر الدكتور غازي حسين بدلًا من أمينها العام السابق كاتب السطور بعد سفره من دمشق.

ما إن اكتمل نشر المادّة الموسومة «**مذكّرات صهيوني**» على خمس حلقات (خصّصتُ الحلقة التعريفيّة الأولى للمُقدِّمة) حتى هاتفني الأخ والصديق **تيسير قُبّعة**[1] عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ومسؤول العلاقات قائلًا: «**الحكيم بدّو يشوفك**»، فما رأيك أن نلتقي عنده على الغداء؟.. واتّفقنا على موعد والتقينا في مكتب العلاقات مع **الدكتور جورج حبش**، الذي استمع بصورة مفصّلة لشروحات قدّمتها عن اليوميّات «المذكّرات» ومعسكر **تيريزين** الذي كنت قد

على محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيّاد، علمًا: أنّني كنت قد قرأت روايته الشهيرة «رجال في الشمس». وبادر في ذلك اللقاء اليتيم إلى إهدائي روايته «أم سعد» وهو من الكتب التي أعتزُّ بها، وبقي معي في براغ، وحين عودتي حملتَهُ في حقيبتي اليدويّة، ولم أضعه في حقائبي مع حاجيّاتي وكتُبي التي شحنتها إلى بغداد.
أنظر : عبد الحسين شعبان، غسان كنفاني ـ اللقاء اليتيم واغتيال العقل الفلسطيني، مجلة الهدف (الفلسطينية) العدد 40 (1514)، آب/ أغسطس 2022.
واستمرت علاقتي بمجلة الهدف بعد استشهاد كنفاني، حيث تولّى رئاسة التحرير بسّام أبو شريف، الذي كنت قد تعرفّت عليه في المؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي (مطلع عام 1971)، ثم التقيته كثيرًا، وإذا بطردٍ ملغوم يُرسل إليه، لينفجر بوجهه بتاريخ 25 تموز (يوليو) 1972، فيأخذ إحدى عينيه وأربعة من أصابعه، ويفقد جزءًا من سمعه، وبقيت بعض شظاياه «تطرّز» صدره، ولا يزال يحملها إلى الآن. وكانت براغ محطة أساسية لعلاجه، إضافة إلى تردّده عليها بصفته نائبًا لرئيس اتحاد الصحفيين العالمي. وقد وقع حادث التفجير بعد أسبوعين من اغتيال غسان كنفاني.
انظر: عبد الحسين شعبان ـ في الأنا والآخر يكتمل النقد المزدوج/ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ذكرى تأسيسها الـ52، مجلة الهدف، العدد 9 (1483)، كانون الأول/ ديسمبر 2019. قارن كذلك صحيفة «الزمان» (العراقية)، بغداد ـ لندن، العددَين 6555 ـ 6556، 11 ـ 12 كانون الثاني (يناير) 2020. انظر كذلك: عبد الحسين شعبان ـ تيسير قُبّعة: غيمةٌ فضّيةٌ في فضاء الذاكرة/ صحيفة «الزمان» العراقية، حلقتان بتاريخ 29 حزيران/ يونيو و 2 تموز/ يوليو 2016.

(1) انظر: عبد الحسين شعبان ـ تيسير قُبّعة: غيمةٌ فضّيةٌ في فضاء الذاكرة، المصدر السابق.

زرتهُ وكذلك **معسكر أوشفيتز** الذي سبق لي أن زرته أيضًا كما سيأتي ذكره، وعن موقف البلدان الاشتراكية السابقة من الصهيونية والنشاط الصهيوني، وكانت حينها قد أُسّست «**اللجنة الاجتماعية السوفييتيّة لمناهضة الصهيونيَّة**» بمبادرة من **يوري أندروبوف** الذي تولّى الأمانة العامّة للحزب الشيوعي السوفييتي، لكنّه لم يستمرّ طويلًا، فقد وافتهُ المنيّة سريعًا، كما تطرّقنا إلى موضوع تأسيس «**اللجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة 3379**» على هامش ندوة نظّمها «الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين»، بمبادرة من الدكتور جورج جبّور وكاتب السطور، وأصبح جبّور رئيسًا لها وكاتب السطور أمينًا عامًّا.[1]

واستفسر الحكيم عن إمكانيّة الحصول على نصِّ المذكّرات «اليوميّات» الأصليّة كاملةً وبلُغَتِها الأصلية، خصوصًا وقد استوقفه وجود «إيغون ريدليخ» في معسكرَي: تيريزين وأوشفيتز (أشهر المعسكرات النازيّة) والذي تعاون مع جهاز الغاستابو لنحو أربعة أعوام، ومع ذلك فقد تمَّ إعدامه هو وزوجته وابنه في عام 1944 دون أن تشفع له الخدمات الكبرى التي قدَّمها للنازيّة بما فيها تعاونه ضدّ أبناء جِلدته بالتواطؤ على إرسالهم إلى المجهول مقابل إرسال بضع

---

(1) أُسّست اللجنة العربية لدعم قرار الأمم المتحدة 3379 عام 1986 وضمَّت شخصيّات مهمّة: إنعام رعد (لبنان) وناجي علّوش (فلسطين) وعبد الرحمن النعيمي (البحرين) ود. غازي حسين (فلسطين) وعبد الفتاح إدريس (فلسطين) وعبد الهادي النشّاش (فلسطين) وغطاس أبو عيطة (فلسطين) وصابر محي الدين (فلسطين) وسعدالله مزرعاني (لبنان) وجورج جبور (سوريا)، وعبد الحسين شعبان (العراق). وقد أصبح اسمها «اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية»، وقد اختير رئيسًا لها إنعام رعد خلَفًا لرئيسها السابق جورج جبّور، كما اختُير أمينًا للسر الدكتور غازي حسين بدلًا من أمينها العام السابق كاتب السطور بعد سفره من دمشق.

عشرات أو مئات من اليهود القياديِّين والمتموِّلين إلى فلسطين، علمًا: أنَّه لم يُخفِ شعوره بالخجل والعار الذي يترشّح من نصوص اليوميّات المكتوبة بعناية فائقة على الرغم من أجواء الرعب واليأس وتبدُّد الآمال الخادعة.

وقد توقّف الدكتور جورج حبش عند المعلومات المثيرة والصادمة التي وردت في «اليوميّات» والتي كتبها إيغون ريدليخ خلال مسؤوليّاته الإدارية العديدة في معسكر تريزين، لا سيّما تلك التي تتعلّق بالصّفقة اللّاأخلاقية بين **النازيّة والصهيونيّة**، والتي تضمّنت التضحية بعشرات الآلاف من اليهود مقابل وعودٍ زائفة. وقد تمّ العثور على تلك المذكّرات في سقفٍ لأحدِ البيوت الحجرية في شارع **غودوالدوف** في مدينة تيريزين عام 1967 على يدِ عمّال بناء، وقد كانت الدَّهشة كبيرة جدًّا، فمع أن «المذكرات» كُتبت بطريقة حذرة خوفًا من وقوعها بِيَد جهاز الغاستابو، لكنها تفصح عن الكثير من المعلومات بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سواء بالإيحاء أو التلميح أو قراءة ما بين السطور بتأويلٍ للنصّ أو تفسيره، وحتى لو جاء المضمون يتعلّق بالإدارة أو التنسيق مع المحتل، لكنه يكشف التعاون والتنسيق بين القيادات النازية والقيادات الصهيونية في ما يتعلق بمأساة اليهود الذين كانوا يغيّبون بالآلاف ويُرسلون إلى حتفهم بمساومات يشعر ريدليخ بالذات بخجله منها.

وبقدر ما تبيِّنُ اليوميّات دوره فهي تعبّر عن طريقة التفكير الصهيونية الخاصة بالتربية والتعليم والتنشئة والعلاقات وغير ذلك من وسائل ميكافيليَّة يتمّ فيها تبرير الوسيلة بزعم الوصول إلى الغاية، علمًا: أن **الغاية هي من شرف الوسيلة**، ولا غاية شريفة إن لم تكن الوسائل شريفة، وحسب

المهاتما غاندي، فالوسيلة إلى الغاية هي مثل البذرة إلى الشجرة، فهما مترابطان عضويًّا ولا يمكن فصمهما.[1]

كنت أتوقّع أنَّ الحصول على نصّ اليوميّات عمليّة سهلة ويسيرة، ولذلك أجبتُ الدكتور حبش بترجيح إمكانية تأمينها، ولكنّني فوجئتُ بصعوبة ذلك بعد الاتصال بصديقنا القديم **موسى أسد الكريم** والطلب إليه توفير نسخة من نصّ المذكّرات باللغة التي كُتبت فيها، علمًا: أنَّ مُحدّثي من براغ أبلغني بعد أسبوعٍ من تكليفه الصداقي: أن ييرجي بوهاتكا هو اسم مستعار لضابط كبير ومسؤول عن ملف النشاط الصهيوني في «تشيكوسلوفاكيا» وكان قد أُقيل من منصبه عام 1968 ثم سُمح له الكتابة بِاسمٍ حركيّ لم يتمّ الكشف عنه. والتقى الكريم زوجته التي كانت تعيش في إحدى المصحّات بعد وفاته بعامين، وحاول الحصول على نسخة من المذكّرات حتى وإنْ دفع ثمنها، وكانت تلك إشارة من الدكتور حبش، لكنّها بعد أن وعدتهُ عادت واعتذرت من الاستجابة لطلبه، ثمَّ امتنعت عن الحديث في الموضوع، بل إنها تهرّبت من مقابلته وأوعزت إلى عاملة الاستقبال في المصحِّ الطلب منه عدم الاتصال بها رغم المحاولات العديدة التي بذلها.[2]

---

(1) أُطلق اسم غودوالدوف على عدد من الشوارع والساحات بما فيها مدينة حملت الاسم ذاته، تيمّنًا بالقيادي الشيوعي التشيكي كليمنت غودوالدوف (1896 ـ 1953) Klement Gottwald وقد تم تغيير اسم مدينة **زلين Zlin** إلى مدينة غودوالدوف من عام 1949 إلى عام 1990، وكان قد أصبح رئيسًا لتشيكوسلوفاكيا من 14 حزيران (يونيو) 1948 لغاية 14 آذار (مارس) 1953، وتوفّي إثر نوبة قلبيّة. وقد استعادت المدينة اسمها التاريخي السابق. جدير بالذكر: أن صناعة الأحذية نشأت فيها وحملت اسم شركة باتا ـ Bata Shoes في نهاية القرن التاسع عشر، وهي من شركات الأحذية العالمية التي أصبحت لها شُهرة كبيرة وما تزال لحد الآن.

(2) للأسف لم أتوصل إلى الاسم الحقيقي لييرجي بوهاتكا، فبعد أسابيع من المراسلات

وخلال زيارتي إلى براغ في عام 1985 بعد انقطاعٍ دامَ نحوَ ثمان سنوات، استفسرتُ من الصديق **حسين العامل** الكاتب والمُترجم العراقي المُخضرم، فيما إذا كان لديه معلومات عن ييرجي بوهاتكا، خصوصًا وأن لديه علاقات متميّزة مع الإدارات التشيكية حيث عاش في براغ منذ أواسط الخمسينات، وبعد تدقيق أبلغني أنَّ ييرجي بوهاتكا كان قد ألّف كتابًا عن «**النشاط الصهيوني في الدول الاشتراكية**»، واستلم حقوقه البالغة 50 ألف كورونا آنذاك، وهو مبلغ لا بأس به في حينها، وقام بتصحيح المسوّدات، واطّلع على صورة الغلاف وعلى الكتاب مطبوعًا في المطبعة، لكن الكتاب اختفى قبل يومين (من صدوره)، إلّا أنّه لم يتعرّف على اسمه الحقيقي الذي ظلَّ لُغزًا مجهولًا، ونقلتُ تلك المعلومات إلى الدكتور حبش الذي أصيب بدهشة وذهول مثلي وربّما أكثر منّي، لا سيّما أن ذلك جرى في ظلِّ النظام الاشتراكي السابق.

وأعود إلى أصل الحكاية، فحسب موسى أسد الكريم يكون ييرجي بوهاتكا قد توفّي بين عام 1982 و1983، وأن زوجته كانت ما زالت على قيد الحياة، حيث تعيش في مصحّة خارج براغ، وأغلب الظنّ على ما أتذكّر في كارلو فيفاري، وقد واصلتُ خلال العقود الثلاثة ونصف الماضية، السؤال عن ييرجي بوهاتكا، لكنّني لم أعثر حتى الآن على ما يُستدلّ عليه على الرّغم من التنقيبات العديدة عنه. وحسبما يبدو، فقد ظلَّ يحمل اسمه

والاتصالات أُصيب موسى أسد الكريم بمرض عُضال، ولم يمهله هذا المرض الخبيث طويلًا. وكنت قد استفسرت من عدد من الأصدقاء عن اسمه، لكنّني لم أحصل على جواب شافٍ أو معلومة دقيقة.

المستعار بدلًا من اسمه الحقيقي، وإن كانت بعض المقالات قد كُتبت، فهي بهذا الاسم وليس بِاسم آخر. ولم أعثر على من التقاه أو تحدَّث إليه أو عرَفَ عنه شيئًا، وقد سألت الرفيق **نعيم الأشهب** والرفيق **مازن الحسيني**، القياديَّان في الحزب الشيوعي الفلسطيني والعاملان في تشيكوسلوفاكيا منذ عشرات السّنين، وكذلك سألت **موفّق فتّوحي** رئيس الجالية العراقية، والرفيق **نزار طرابلسي** القيادي في الحزب الشيوعي السوري والتشيكي حاليًّا، إضافةً إلى **نوري عبد الرزّاق** الذي قضى ردحًا من الزمن في تشيكوسلوفاكيا، وكُلُّهم لم يعرفوا عنه شيئًا بمن كان على علاقات خاصة مع التشيك.

ولكي تُستكمل الحكاية، فحتّى المذكّرات ذاتها وبعد هذه السنوات الطويلة، بقيت سرًّا مجهولًا يصعب الحصول على معرفة دقائقه بالرغم من أنّ الكتاب طُبِعَ أكثر من طبعة وبأكثر من لُغة، لكنّه اختفى على نحوٍ شبه تام من المكتبات بما فيها القديمة والتي كانت تُعلن عن وجود عدد من النُّسخ لديها ولكن عند الطلب لشرائها تعتذر هذه المكتبات لعدم توفّرها، وقد حاول الصديق **عصام الحافظ الزّند**، البحث عن يوميَّات إيغون ريدليخ حتّى عثر عليها مؤخرًا بعد جُهدٍ جهيد، فوصلتهُ نُسخة من طبعةٍ تعود إلى عام 1992، وقد استعنت بها عند مراجعتي للنصّ الذي سبق لي أن ترجمته وأعددتهُ للطّبع في عام 1985، وكان أن طلبها من أكثر من مكتبة أمريكية، إلّا أنَّ النسخة الوحيدة التي نحن بصددها كانت متوفّرة في **مكتبة أمازون**، ويُعتقد أنها ليست كاملة، حيث تمّ حذف أجزاء منها أيام النظام الشيوعي، ولكنّني حين قارنت ما توفّر لديّ من ترجمة لما كتبته بيرجي بوهاتكا وجدتها أقرب إلى النصِّ

الأخير الذي نشر بالإنكليزية. وهناك نسخة عِبريّة أيضًا، موجودة في متحف في «تل أبيب»، ويُعتقد أنّها النسخة الأصليّة. والكتاب الذي أتحدث عن نسخته يقع في 175 صفحة، إضافة إلى عدد من الصُّور وخريطة لمعسكر تيريزين، [1] كما هناك نُسخة تشيكيّة طُبعت في عام 1995 وهي الأخرى مفقودة، الأمر الذي يرجّحُ لديَّ أنَّ المدعو ييرجي بوهاتكا كان قد قرأ مخطوطة المذكّرات (اليوميّات) قبل نشرها بصيغتها المعروفة، بحكم موقعه حسبما يبدو في إدارة المخابرات التشيكية المسؤولة عن مكافحة النشاط الصهيوني، وذلك هو التفسير الذي توصّلت إليه.

لم يكتفِ الحافظ الزنْد وكذلك زوجته ماريّا الحافظ [2] في البحث عِبر الإنترنت أو من خلال مكتبات عامّة وخاصّة عن يوميّات إيغون ريدليخ والتفتيش عن تقريظ ييرجي بوهاتكا، بل بادر الحافظ بدأبٍ ومسؤوليّةٍ صداقيّةٍ إلى الاتّصال بمتحف تيريزين للسؤال من مديره عن كتاب ريدليخ الذي سبق وأن صدرَ باللغة التشيكيّة عسى أن يجده فيه، بعد أن يئسَ من الحصول عليه، إلّا أنه فُوجئ بأنَّ المدير ذاته لم يسمع أو يعرف شيئًا عنه، وبعد اتصالات عديدة وجَدَ نسخة وحيدة في مكتبة «**جامعة تشارلس**»

---

(1) The Terezin Diary of Gonda Redlich – Editor: Saul S. Friedman، Translator: Laurence Kutler، Foreword by: Nora Levin، The University Press Of Kentucky، 1992.

(2) كان الرئيس ياسر عرفات حين يأتي لزيارة جمهورية تشيكوسلوفاكيا يطلب ماريّا الحافظ للترجمة إلى العربيّة، فقد كانت رئيسة القسم العربي في الإذاعة التشيكيّة كما قامت بترجمة عدد من الأعمال الأدبية لـ غسان كنفاني ومحمود درويش وعدد من الأدباء الفلسطينيين والعرب.

لكنّها تمنع استعارتها خارجها، الأمر الذي يعني أنَّ الكتاب نادرٌ من جهة وأنَّ ثمَّة وراء الأكمَّة ما وراءها، بخصوص هذه اليوميّات، إضافةً إلى لُغزِ مَنْ قام بتقريظها لدرجة أنَّ اسمه بقيَ مستعارًا على الرغم من مرور أكثر من نصف قرنٍ من الزمان.

وبعد نشر المقالات الخمس، في مجلة «الهدف»، اتّصل بي الصديق **خالد عبد المجيد** الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وطلب منّي جمعَها لنشرِها في كتاب، خدمةً للقارئ وللحفظ أيضًا، وذلك عِبر دار تمّ تأسيسها من قبل **جبهة النضال الشعبي**، واستأذنته لأسأل مجلّة الهدف التي هي مَنْ بادرَ بنشر المادَّة لأوَّل مرَّة دفعًا لأيِّ إحراج ومن باب اللياقة والدبلوماسية، وبالفعل رحَّب رئيس تحريرها الصديق صابر محي الدين، فصدر الكتاب بطبعة أولى عن «**دار الصمود العربي**» في دمشق ونيقوسيا عام 1986، وقد نفَدَ خلال أسابيع، وصدرت طبعته الثانية خلال فترة قصيرة، وكان قد صمَّم غلافه الفنّان العراقي المُبدع الصديق **مكّي حسين**.

أملي أن يكون إصدار الطبعة الجديدة من هذا الكتاب حافزًا إضافيًا لحوارات أكثر عمقًا وشمولًا في ما يتعلّق بالإرهاب والعنصرية وشرورهما ولكشف المزيد من الخبايا والخفايا التي تلفّحت بها حركات سياسية اتّسمت بالغلوّ والانغلاق والتعصّب ووليده التطرّف، وهذا الأخير حين يصبح سلوكًا يتحوّل إلى عنف وإلغاء للآخر وإقصائه، بل إنه يصير إرهابًا إذا ضرب عشوائيًا، فنحن بحاجة إلى حوار معرفي وثقافي وفكري، لا سيّما بين النخب على اختلاف توجهاتها ومعتقداتها وإيديولوجياتها وأديانها وقومياتها وصولًا للمشترك الإنساني، وتلك هي الرسالة الأساسية التي

أسعى إلى إيصالها إلى القرّاء من خلال عرض عدد من الوقائع التاريخية المهمة بما يفيد الحاضر والمستقبل ويبعد أية أوهام أو تقديرات خاطئة بشأن المعالجات والحلول المطروحة.

ع. الحسين شعبان

بيروت، الجناح

10 كانون الأول/ديسمبر 2021

كيف نقرأ المذكّرات؟

النصّ الذي نضعهُ بين يديّ القارئ، مترجم عن اللّغة التشيكيّة، وقد ذُيِّل بِاسم الكاتب والصحافي التشيكوسلوفاكي «ييرجي بوهاتكا» Jiri Bohatka وتحت عنوان «عندما كشف النّقاب في يوميّاته» ـ «Co odhalil nalezuny denik».

ويلقي ييرجي بوهاتكا ضوءًا كاشفًا على يوميّات الزعيم الصّهيوني التشيكوسلوفاكي «**إيغون ريدليخ**» العضو القيادي في منظّمة «**ماكابي هاكير**» الصّهيونيّة، الذي كان معتقلًا في **معسكر تيريزين**[1] قبل نقله

(1) تيريزين مدينة محصّنة وهي حامية سابقة وتبعد نحو 60 كلم عن براغ العاصمة التشيكية. وقد أُسست في نهاية القرن الثامن عشر لمهمات عسكريّة دفاعيّة، وسُمّيت تكريمًا للأميرة النمساويّة تيريزا، وقد تحوّلت خلال الحرب العالميّة الثانية إلى معسكر اعتقال ألماني ذي جدران عالية على مسافة 4 كيلومترات وشبكات وممرّات، قسمٌ منها تحت الأرض. وقد زارها الكاتب لأوّل مرَّة في عام 1972، كما زارها مرَّة أخرى في نهاية التسعينات. ومن معالمها الحاليّة، إضافةً إلى القلعة، متحف ونَصب تذكاريّ يروي حكايات السجناء وعذاباتهم، ويرسم صورة مأساويّة عمّا تعرّضوا له. وقد كرّمت سفارة فلسطين في براغ إحدى الناجيات اليهوديّات من معسكر تيريزين التشيكي النازي والتي تُدعى دوريس غروسدانوفيكا في كانون الأول (ديسمبر) 2016 لبلوغها 90 عامًا ولتضامنها مع الشعب العربي الفلسطيني ونضالاته العادلة وضدّ الاحتلال الإسرائيلي، وذلك على هامش احتفالات بإضاءة شجرة أعياد الميلاد في مقرّ السفارة الفلسطينية بالعاصمة التشيكية. وقد قالت المعمّرة اليهوديّة التشيكية: إن رفضها للاحتلال النازي لبلادها والذي عانت منه على المستوى الشخصي، يتّصل مع رفضها القاطع لجميع أنواع الاحتلالات بأيّ مكانٍ على وجه الأرض.

إلى معسكر **أوشفيتز**[1] ويدمغ بصورة قاطعة تعاون القيادة الصّهيونيّة

في عام 1941 قام **راينهارد هايدرش** الذي يُعتبر أحد مهندسي «الحل النهائي للمشكلة اليهودية» (ترحيل وإبادة اليهود في الأراضي المحتلّة من قبل ألمانيا) وهو رئيس مكتب أمن الرايخ العام بما في ذلك الغستابو، البوليس الجنائي ووكالة استخبارات الرايخ، بتحويل مدينة تيريزين إلى غيتو «نموذجي» لليهود ظاهريًّا، وانتشرت إشاعات من أنها ستكون محطة عبور لهم، يتم إرسالهم عبرها إلى حيث يمكنهم البقاء على قيد الحياة، ولم تكن تلك المحطة سوى نقطة انتقال إلى معسكر أوشفيتز في بولونيا التي افتتحها النازيّون. وقد تمّ جمع نحو 140 ألف يهودي من مورافيا وبوهيميا، لم يبقَ منهم على قيد الحياة سوى قرابة 17 ألفًا في عام 1945، وفارق الحياة نحو 15 ألف طفل لم ينجُ منهم سوى 100 فقط.

انظر:

The Terezin Diary Of Gonda Redlich، Editor: Saul S. Friedeman، Translator: Laurence Kutler، Foreword by: Nora Levin، The University Press Of Kentucky، 1992.

(1) يضم معسكر أوشفيتز ثلاثة مجمّعات رئيسيّة: أوشفيتز الأول، والثاني أوشفيتز بيركيناو، والثالث مونوفيتز، وهذه تحتوي على 40 معسكرًا فرعيًّا. وحسب الاتّهامات الموجّهة إلى وزير الداخلية الألماني (النازي) في محكمة نورنمبرغ العسكرية **هانيريك هملر**، قُتل فيه ما يقارب مليونًا و100 ألف إنسان، قسم كبير منهم من اليهود الذين تمَّ جمعهم من بلدان أوروبا التي احتلتها ألمانيا النازيّة خلال الحرب العالمية الثانية، وقد جيء بهم من هنغاريا وبلجيكا وهولندا وفرنسا واليونان وروسيا والنمسا وألمانيا وبولونيا، حيث تم بناء هذا المعسكر في بولونيا، وهو يبعد عن مدينة كراكوف نحو 70 كلم، وتمّ نقل المعتقلين إليه بالقطار بين ربيع عام 1942 وخريف عام 1944، وقد سقط المعسكر في 27 كانون الثاني/ يناير 1945 بيَد الجنود السوفييت، وأعدم منظّره هملر في عام 1947 بعد صدور قرار بالحكم عليه بالإعدام من قِبَل محكمة نورمبيرغ. جدير بالذّكر: أنّ الكاتب كان قد زار معسكر أوشفيتز في خريف عام 1969 خلال مشاركته في ندوة تحضيريّة للذكرى المئويّة لميلاد فلاديمير إيليتش لينين (وُلد في 22 نيسان/ إبريل عام 1870 وتوفي في 21 كانون الثاني/ يناير عام 1924).
تبلغ مساحة المعسكر 50 كلم^2 وكانت مدينة أوشفيتز قد احتلّت من قبَل القوات الألمانية عام 1939، وتقع على نهر سولا وقد تناوب عليها النمساويّون والبروسيّون. وقد أقيم نصب تذكاري للضحايا بعد تحريرها، وفي عام 1979 أصبح النصب ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي.

مع الاحتلال النازي التشيكوسلوفاكيا، باعتبارها طابورًا خامسًا، ليس ضدّ مصالح الشّعب التشيكوسلوفاكي فحسب، بل ضدّ مصالح الأغلبيّة السّاحقة من الجماهير اليهوديّة، حيث كانت كما تفصح ذلك يوميّات إيغون ريدليخ، ترسل الألوف من اليهود، «المتمثّلين» وغير المتمثّلين إلى معسكرات الإبادة الجماعيّة النازية «المعبّدة» إلى جهنّم، مقابل وعود نازيّة بإرسال بضع عشرات ومئات من القيادات الصّهيونيّة وأصحاب رؤوس الأموال إلى فلسطين.

كان إيغون ريدليخ يومها شابًّا صهيونيًّا مهتمًّا بعمل الشباب وقد تمّ اختياره ليكون مسؤولًا عن قسم رعاية الشباب في المعسكر، وعن الإسكان والتعليم للأطفال الذين كانوا في معسكر تيريزين.

وقد سجّل في مذكّراته منذ بداية وجوده في تيريزين حالات الخوف واليأس في ذلك الغيتو «الحي» اليهودي عاكسًا الحياة اليوميّة والثقافيّة والمرض والموت والشائعات والآمال الخائبة، إضافةً إلى الشعور بالذّنب.

إنّ مذكرات إيغون ريدليخ لم تُكتب لغرض النّشر، ولم يدُر بخلدِ كاتبها أنّه هو الآخر سيلقى مصرعه على أيدي أسياده النازيّين نظرًا للخدمات «الجليلة» التي قدّمها لسلطات الاحتلال، كما لم يخطر بباله، أنَّ هذه المذكرات التي خبّأها بصورة مُحكمة ودقيقة، سيتمّ العثور عليها بعد قرابة ربع قرن، ويجري نشرها بعد أكثر من ثلاثين عامًا.

ومع ذلك، فإنّ ريدليخ كان قد كتب يوميّاته بحذرٍ شديد خوفًا من وقوعها بأيدي سلطات الاحتلال النازي، كما سجّل الشعور بالذّنب والعار الذي شعرَ به لإجباره كعضو على اختيار أفراد يتمّ نقلهم إلى وجهة مُخيفة

غير معلومة كما يقول. وفي نهاية المطاف أُرسل ريدليخ نفسه وزوجته وطفله إلى محتَشَد أو مُعسكر أوشفيتز في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1944 ليلقى حتفه مثل عشرات الآلاف من اليهود الآخرين. وقبل ترحيله أخفى مذكّراته «يوميّاته».

واليوميّات وثيقة دامغة لتجربة الهولوكوست ودور الصهيونية فيها بما لها من جوانب إنسانيّة مرعبة، [1] سنحاول قراءة المذكّرات من خلال:

1 ـ عنصريّة الصهيونيّة

تُعرّي يوميّات ريدليخ ـ بصورة سافرة ـ الطبيعة العنصريّة للصهيونيّة منذ وقت مُبكر، وتتبدّى في يوميّاته على نحوٍ صارخ حقيقة الحركة الصهيونيّة من الداخل باعتبارها «تيّارًا رجعيًّا برجوازيًّا يهوديًا» مرتبطًا بالاحتكارات الرأسمالية العالميّة. ولذلك ليس غريبًا أن تُدين الجمعية العامّة للأمم المتحدة بقرارها المرقّم (3379) الصادر في 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1975 (الدورة: الثلاثون) الصهيونيّة باعتبارها عقيدة عرقيّة عنصريّة خاطئة. وجاء في القرار المذكور: «أنّ الجمعيّة العامّة تذكّر بالقرار رقم (1904) الصادر في 20/ 11/ 1963 الذي يُعلِن عن تصريح الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة، القضاء على العنصريّة بكل أشكالها، خصوصًا عندما حدّدت أنّ «كل عقيدة تنادي بالتّفرقة أو التفوُّق العِرقي هي عقيدة كاذبة وخاطئة من الناحية العلميّة وتستحق الإدانة من الناحية الأخلاقيّة، وهي جائرة وخطيرة من الناحية الاجتماعيّة».

---

(1) انظر المصدر السابق.

ويُعرب قرار الجمعيّة العامّة المذكور عن القلق المشروع إزاء تعابير التفرقة العنصريّة التي ما زالت موجودة في عدّة مناطق من العالم، تلك التعابير التي فرض بعضها عن طريق حكومات معيّنة بواسطة إجراءات تشريعية أو إداريّة أخرى...».

وتذكّر الجمعيّة العامّة بقرارها رقم (3151) الدورة الثامنة والعشرين بتاريخ 14/ كانون الأول/ ديسمبر 1973 بالتحالف الظالم بين العنصريّة في جنوب أفريقيا والصهيونيّة، كما ذكّر القرار بالإعلان العالمي الصّادر عام 1975 في **المكسيك** بصدد مساواة النّساء، حيث ورَدَت الإشارة إلى القضاء على الاستعمار الجديد والاحتلال الأجنبي والصهيونيّة والتمييز العنصري والعِرقي بجميع أشكاله، وكذلك قرار رقم (77) لدول منظّمة الوحدة الإفريقيّة (**كمبالا** 1975 ـ الدورة الحادية عشر) ومؤتمر وزراء خارجيّة دول عدم الانحياز (**ليما** ـ بيروت في 25 ـ 30 آب/ أغسطس 1975).

وعليه قرّرت الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة: «**أنّ الصّهيونيّة شكل من أشكال العنصريّة والتمييز العنصري**».[1]

لقد حاولت الحركة الصّهيونيّة و«إسرائيل»، أن تصوّرا قرار الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، بأنّه معادٍ للساميّة، وبشكل ديماغوجي شنّتا حملة ظالمة ضدّ الأمم المتّحدة التي اتّهمتاها بالعداء لليهود وباللّاساميّة وقصدتا من الضجّة الكبرى التي أثارتها الحركة الصهيونيّة و«إسرائيل»، صرف

(1) انظر نصّ قرار الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة رقم (3379) في 10 تشرين الثّاني (نوفمبر) 1975 (الدّورة الثّلاثون ـ الجلسة رقم 2400)، قارن: كتابنا «الصهيونية المعاصرة والقانون الدولي»، دار الجليل، دمشق، 1985. قارن كذلك: كتابنا الموسوم القضايا الجديدة في الصّراع العربيّ ـ «الإسرائيليّ»، دار الكتبي، بيروت، 1987.

الانتباه عن حقيقة الفكر الصّهيوني العنصري الرجعي وتنكّرهما لحقوق الشّعب العربي الفلسطيني الثّابتة وغير القابلة للتصرّف، وفي مقدّمتها حقّه في تقرير مصيره بنفسه وعلى أرض وطنه بما فيها تكوين دولته الوطنيّة المستقلّة وعاصمتها القدس الشريف.

وتتجلّى حقيقة عنصريّة الصهيونيّة في رفضها لقرارات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي، بشأن حقوق الشّعب العربي الفلسطيني وفي ادّعاءاتها السّمِجة حول «الحقوق التاريخيّة لليهود» في «أرض إسرائيل» تلك التي عبّر عنها الكنيست «الإسرائيلي» بقراره الصّادر في 16/ 03/ 1973 والموسوم بـ«بديهيّة حقوق اليهود التاريخيّة في أرض إسرائيل» وهو الأمر الذي تبلور لاحقًا بصيغة الدولة اليهودية «النقيّة» بالقرار الذي اتّخذه الكنيست في عام 2018.[1]

وما يعزّز الطابع العنصري للصهيونيّة هو انغلاقها ورفضها انتساب غير اليهود إلى منظّماتها، وكذلك العلاقة الوثيقة والصِّلة الحميمة التي تربط الصهيونيّة و«إسرائيل» بالحكومات والحركات العنصريّة، وبخاصّة حكومة جنوب إفريقيا العنصريّة، حيث تلتقيان معًا على صعيد إيديولوجي واحد، قوامه: التمييز العنصري (نظام الأبارتيد Aperthied).[2]

---

(1) صادق الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) على مشروع قانون القومية الذي يقضي بيهوديّة الدولة، وإن «إسرائيل» دولة لليهود وقد حدّد عاصمتها «القدس»، ويقضي القرار باستخدام اللغة العبريّة في المعاملات الرسمية وينتقص من مكانة اللغة العربية ويحوّلها من لغة رسمية إلى لغة ذات مكانة خاصة، كما يضفي على التجمّعات اليهوديّة (المستوطنات ـ المستعمرات) مكانةً متميّزة تمنع العرب من السكن فيها، وينصّ القانون كذلك على أن «دولة إسرائيل هي البيت القومي للشعب اليهودي وأن حق تقرير المصير في دولة إسرائيل يقتصر على الشعب اليهودي».

(2) كان تيودور هيرتزل الأب الروحي للحركة الصهيونيّة قد وجّه رسالة إلى سيسيل

وصف **إسحاق رابين** في الكنيست قرار الجمعيّة العامّة حول مساواة الصّهيونيّة بالعنصريّة بقوله: «إن العاشر من تشرين الثّاني/ نوفمبر (1975) سوف يسجّل أشدّ قرارات الأمم المتحدة، مدعاة للاشمئزاز».

وبصَلَفٍ وعنجهيّة دعت **غولدا مائير** صهاينة العالم لحمل ميداليّات على صدورهم يُكتب عليها «**أنا صهيوني**» رفضًا لقرار الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة.

وقرّرت الوكالة اليهوديّة العالميّة اعتبار قرار الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة (3379) عنصريًّا ومعاديًا للساميّة.

ولم يكن قرار الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة مجرّد تطوّر في الرأي العام العالمي داخل المنظّمة الدوليّة فحسب، أو تظاهرة إعلاميّة كبيرة أو ضغط مارسته الدول العربيّة وأصدقاؤها في أروقة الأمم المتحدة، بل كان إقرارًا بواقعٍ أليم عانى منه الشعب العربي الفلسطيني منذ عام 1948 وقبْلَهُ،

رودس أعتى العنصريِّين الاستعماريّين الذي عانت منه أفريقيا يبدي إعجابه بالنظام العنصري في روديسيا ويقول فيها إنه يودّ أن يُنشئ نظامًا مثله في فلسطين على غرار رودس بالذات في أفريقيا، كما ارتبطت «إسرائيل» بعلاقة متميّزة مع نظام جنوب أفريقيا العنصري الذي حكمت بموجبه «الأقليّة البيضاء» غالبيّة السكان أصحاب البشرة السمراء لأكثر من قرنين من الزمان حتى تمكّن في التسعينات 1990 ـ 1993 من إجراء انتخابات ديمقراطية 1994 لكل الأعراق والهُويّات والأصول الإثنيّة، وإقامة نظام ديمقراطي وإجراء مُصالحة تاريخيّة، فقد أعلن نيلسون مانديلا عن نهاية التمييز العنصري وبناء دولة جديدة على أساس المساواة والمواطنة المتكافئة، وقد تولّى شخصيًّا متابعة قضايا «لجنة الحقيقة والمصالحة»، لأنه كان يعرف بعمقٍ أن بناء مجتمع جديد والتخلص من آثار الماضي وآلامه لا يمكن إلاّ بالتسامح ونبذ الأحقاد والنظر إلى المستقبل وليس العيش في الماضي، وهذا هو بالضبط ما فعلهُ خصوصًا وقد ربط المصالحة الوطنية بالعدالة الانتقاليّة.

وكذلك سكان الأراضي العربيّة المحتلّة منذ عام 1967، فقد مارست السّلطات «الإسرائيليّة» شتّى أنواع التمييز العنصري ضدّ سكّان فلسطين العرب وسكّان الأراضي العربيّة المحتلّة في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة والجولان وغيرها.

عبّرت **غولدا مائير** يومها عن حقيقة ما يجول في أعماق الصهاينة العنصريّين حينما قالت: إنّني لا أريد دولة ثنائيّة القوميّة، دولة أضطرّ فيها إلى أن أكون في قلق دائم: تُرى هل الطفل المولود يهودي أَمْ غير يهودي؟.[1]

---

(1) على الرغم من انغلاق المجتمع «الإسرائيلي» والنظرة العنصريّة المهيمنة عليه، فإن الحركة المناهضة للتّمييز العنصريّ، بدأت تتطوّر وتتّسع داخل «إسرائيل»، وخصوصًا بعد غزو لبنان في حزيران/ يونيو 1982، متّخذة شكل رفض الحرب، وقد انعقد في النّاصرة العربيّة مؤتمر عربيّ ـ يهوديّ تحت عنوان «ضدّ العنصريّة ومن أجل التعايش المشترك» واستقطب المؤتمر قوى وحركات واسعة وشخصيات وهيئات وأحزابًا عربيّة ويهودية.

اتّخذ المؤتمر أربعة قرارات هي:

1 ـ قرار استنكار التحريض والممارسات العنصريّة ضدّ المواطنين العرب والدّعوة إلى المساواة.

2 ـ قرار بالدّعوة إلى إلغاء الأنظمة والقرارات والقوانين، التي تميّز ضدّ المواطنين العرب كافّة والدّعوة إلى سَنّ قوانين بمنع التحريض العنصريّ.

3 ـ المطالبة بالمساواة الكاملة وبخاصّة إزاء الجماهير العربيّة.

4 ـ تخويل اللجنة التحضيرية تسريع نشاطاتها وضمّ مختلف الأشخاص والتيّارات في النّضال ضدّ العنصريّة.

هذا وقد انعقد المؤتمر في 28/ 1/ 1984 وقُدّمت فيه أبحاث ودراسات وتحدّث فيه 20 خطيبًا، وأعلن 20 عضوًا في الكنيست تأييدهم لقرارات المؤتمر. أمّا أهمّ القوى التي حضرت المؤتمر، فهي الجبهة الدّيمقراطيّة للسّلام والمساواة وأحزاب العمل (مبام) وشينوي وراتس وغيرها، وافتتحه الباحث النفسي مروان دويري: سكرتير رابطة الجامعيين في النّاصرة.

انظر: جريدة الاتّحاد «الإسرائيليّة»، العدد 222/ 40 في 3/ 2/ 1984.

وعن هذه الفكرة عبّر **وايزمن** أوّل رئيس لدولة «إسرائيل» بقوله: «لقد اتفقت مع الحكومة البريطانيّة، التي تبنّت الحركة الصهيونيّة على تسليم فلسطين لليهود خاليةً من سكّانها العرب».

قام البرنامج الصّهيوني «للدولة اليهوديّة» على ثلاثة محاور أساسيّة هي:

دولة يهوديّة نقيّة (أي خالية من العرب)

ودولة يهوديّة عالميّة (أي تمثيلها ليهود العالم)

ودولة «إسرائيل» الكبرى (أي من النّيل إلى الفرات وبالتوسّع **الاستعماري الاستيطاني**).[1]

وعن الاستعمار الاستيطاني عبّر **هيرتزل**، الأب الروحي للصهيونيّة، عن نظرته العِرقيّة العنصريّة للدولة اليهوديّة حين كتب يقول: لنفترض مثلًا أنّه ينبغي علينا تطهير البلاد من الحيوانات المتوحّشة (المقصود العرب من سكّان فلسطين) فإنّنا لن نحلّ هذه المهمّة، مثلما فعَلَ الأوروبيّون في القرن الخامس عشر. إنّنا لن نرمي السّهام والرّماح ونلاحق الدّبَبَة فحسب، سوف ننظّم صيدًا واسعًا ونشيطًا وسوف نطرد معًا الحيوانات ونرمي قنابل شديدة الانفجار.[2]

وبذلك يمكننا القول: إن الصّهيونيّة هي التعبير الأكثر وضوحًا عن

---

(1) انظر: بريماكوف، يفغيني وآخرون - «القضيّة الفلسطينيّة: العدوان والمقاومة وسبُل التسوية»، معهد الاستشراق السوفييتي، أكاديميّة العلوم السوفييتية، موسكو، 1983، ص 76 - 77.

(2) Lagueur, Walter _ The Israel _ Arab Reader N. Y. 1971 _, P.10.

العنصريّة في التاريخ المعاصر، والعنصريّة حسب تعريف **دائرة المعارف البريطانيّة** هي «النّظريّة أو الفكرة القائلة إنّ هناك علاقة سببيّة بين الصّفات الجسديّة الموروثة وصفات تتعلّق بالشّخصيّة أو العقل أو الثّقافة. يضاف إلى هذا أنَّ فكرة بعض الأعراق متفوّقة على أخرى بصورة وراثيّة».

ويضيف التعريف المذكور: «إن تعبير العنصريّة ليس مرتبطًا بالتفريعات البيولوجيّة أو الأنثروبولوجيّة للعِرق الذي هو تقسيم فرعي للنّوع، وغالبًا ما يجري سحب الأفكار العنصريّة بلا تمييز على مجموعات غير بيولوجيّة وغير عِرقيّة مثل الطوائف الدينيّة والأمم والمجموعات اللّغويّة والجماعات الدينيّة والثّقافيّة».[1]

2 ـ الصّهيونيّة والفاشيّة

تتجلّى بصورة واضحة في يوميّات إيغون ريدليخ صِلة القُربى الروحيّة بين الإيديولوجيّتين: الفاشيّة والصهيونيّة، فالفاشيّة كانت تقوم على أساس نظريّة العِرق النّقي وتقسّم العالم إلى «**شعوب سفلى**» و«**شعوب عُليا**»، وأنّ الألمان يتربّعون في قمّة الهرم السُلالي، باعتبارهم أسمى العروق وأنقاها.[2]

---

(1) انظر: الدّراسة المقدّمة إلى مؤتمر رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالميّة في مالطا والموسومة بـ«الطّبيعة العنصريّة للصهاينة»، مجلّة المحامون (السوريّة) العدد (1)، كانون الثّاني 1981.

(2) في كتاب روجيه ديلورم (الكتاب الكندي) يفرد فصلاً خاصًّا عن «تحريف الإنسان أو التشويه «الإنثروبولوجي» الذي تقوم به الصّهيونيّة، ويتحدّث عن «أسطورة الحقوق التاريخيّة والطّبيعيّة للشّعب اليهوديّ المميّز». ويقارن ديلورم ذلك بادّعاءات النازيّة الألمانية حول تفوّق ونقاء العنصر الآري الذي يمثّله الألمان بشكل سامٍ. وفي الختام يتنبّأ الكاتب للصهاينة المصير الذي استحقّه النازيّون.

لقد تعلّم الصهاينة الكثير من الفاشية وصوّرت الدعاية الصّهيونيّة موقف التعالي والتعصّب باعتباره جزءًا من العقيدة الصّهيونيّة. وصاغ **ليوبنسكر** الزّعيم الصهيوني النّظرة الصّهيونيّة حين أكثَر الحديث عن أفضليّات اليهود ودورهم المتميّز في حياة الشّعوب وأنّهم لعبوا دورًا أهمّ في حياة الأمم المتحضّرة، ولذلك فهُم يستحقّون أكثر من غيرهم. وأضاف يقول: إنهم ذوُو ماضٍ تاريخيّ وسلالة مشتركة غير ممزوجة عنصريًّا، ونشاط لا يمكن تدميره، وعقيدة لا يمكن دحضها وهي الصّهيونيّة.

وأشار **حاييم سكولوف** وهو زعيم صهيوني آخر إلى أنّ اليهود نسبيًّا هم أرقى عنصر (عِرق) بين الأمم المتمدّنة.

وعلى العموم، فإنَّ الموقف الاستعلائي الشوفيني هو الذي طبع علاقة الصّهيونيّة بالشّعب العربي الفلسطيني، وبخاصّة بعد تأسيس «اسرائيل».[1]

وتكشف يوميّات إيغون ريدليخ النّزعة الاستعلائيّة التعصّبيّة الضيّقة للصهيونيّة، وذلك حين يتحدّث عن «الاصطفاء» اليهودي ويعلن **ازدراء الصّهيونيّة «لأيّة ثقافة تشيكية» واشمئزازه من الأدب والفنّ والتراث التشيكي**، بل ولأيّة **ثقافة أوروبية** باستثناء اللّغة الألمانية (لغة المحتلّين أو السجّانين كما يسمّيها نزلاء تيريزين) في حين يوضح في يوميّاته

انظر: ديلورم، روجيه ـ إنّي أتّهم، دار الجرمق، دمشق، 1982، ص 239 وما بعدها.
انظر كذلك: جورجي كنعان ـ العنصريّة اليهوديّة، منشورات دار النّهار، بيروت، 1983، ص 23 وما بعدها.
قارن: فلاديمير بولتساكوف ـ الفاشيّة والصهيونيّة، جريدة برافدا، عن (أنباء موسكو بالعربيّة)، العدد (4)، نيسان/ 1984.

(1) انظر: إميل توما ـ الصّهيونيّة المعاصرة، عكا، منشورات الأسوار، 1982، ص 59.

استهجان أفراد غيتو تيريزين لتحدّثه باللّغة الألمانيّة وإنزالهم الشّتائم به، نظرًا لذلك.

وفي مجال تربية الأطفال، فإنَّ يوميّات ريدليخ تبيّن التشابه بين أساليب التربية الفاشيّة والصهيونيّة، كما توضّح تناقض فكر الصّهيونيّة وأساليب تربيتها وبين أغلبيّة اليهود، ولذلك تراه يُبدي تذمّره حول الأشكال الصّهيونيّة لتربية الأطفال.

3 ـ اللّاساميّة

حاولت الصّهيونيّة استثمار المجازر التي نظّمها هتلر ضدّ اليهود لاستدرار عطف الرأي العامّ العالمي من جهة وكسب الجماهير اليهوديّة إلى جانبها من جهة أخرى، باعتبارهم ضحايا العداء للساميّة في كلّ مكان، ومنبوذين من الشّعوب الأخرى، وأن لا حلّ للمسألة اليهوديّة من دون تجميع اليهود في مركز واحد وإقامة دولة لهم في إطار غيتو منغلق ليتمكّنوا من إحياء تراثهم.[1]

وحسب إيديولوجيّي الصّهيونيّة: «إن الانصهار يُعتبر شكلًا من أشكال الانسلاخ عن الهُويّة اليهوديّة الخالصة، فـ«اليهودي» عنصر يتميّز عن الشّعوب غير قابل للذّوبان أو الاندماج في كيان أيّ أمّة».[2]

وإذا كانت «إسرائيل» قد عزفت كثيرًا على نغمة العداء للساميّة، فهل يمكن اتّهام إيغون ريدليخ بالعداء للساميّة؟.. فهو يشير في مذكّراته إلى

---

(1) انظر: جورجي كنعان ـ العنصريّة الصّهيونيّة، مصدر سابق، ص 94.

(2) Hertzberg, A. _ The Zionist idea, N.Y. 1959

إرسال الألوف من اليهود إلى معسكرات الموت «الشّيوخ والمرضى والأطفال»، لتأمين حماية الزّعماء الصهاينة.[1]

لقد كشفت محاكمة رئيس الوكالة اليهوديّة السّابق في هنغاريا **رودلف كاستنر** عام 1952 في «إسرائيل» عن عدد كبير من تفاصيل «الصفقات» لتصفية اليهود على يد الهتلري **آدولف آيخمان**، [2] الذي كان يشرف على قسم الغستابو الخاصّ بشؤون اليهود.

وتكشف مذكّرات ريدليخ أنه مقابل وعد من آدولف آيخمان بإرسال

---

(1) The Terezin Diary Of Gonda Redlich، Ibid.

(2) يتردّد اسم آدولف آيخمان كثيرًا في مذكرات إيغون ريدليخ، فقد كان صلة الوصل بين النازيّة والغيتو الصّهيوني في تيريزين، وبواسطته نظمت قوائم الترحيل إلى معسكرات الموت النازية في أوشتفيز بمساعدة زعماء الصّهيونيّة. وبعد انتهاء الحرب العالميّة الثّانية وهزيمة النازيّة اختفى آيخمان عن الأنظار وفي وقت لاحق استطاعت أجهزة المخابرات الإسرائيليّة (الموساد) من العثور عليه في إحدى بلدان أمريكا اللاتينيّة (الأرجنتين)، وجرى اختطافه في عام 1960 بعد عمليّة بحث طويلة، ونقل سرًّا إلى «إسرائيل» ليقدّم إلى محاكمة صُوَريّة يتم إعدامه على إثرها. جدير بالذكر: أن **أيسر هائيل** رئيس الموساد الأسبق، هو الذي أشرف على اختطاف آيخمان، وفي حينها ألقى **بن غوريون** خطابًا قصيرًا أمام الكنيست في اليوم التالي لوصول آيخمان إلى تل أبيب، قال فيه «يتوجب عليَّ الإعلان عن أن الاستخبارات الإسرائيلية عثرت قبل وقت قصير على واحدٍ من كبار مجرمي النازية وهو آدولف آيخمان».
انظر: آرنبرغ وآخرون ـ الموسّاد، ترجمة دار الجليل (الأردنية) عن النص العبري، عمان، ط2، 1983، ص 28 ـ 29 وما بعدها، وحول الجوانب القانونيّة، لعملية اختطاف آيخمان وتعليل ذلك من وجهة نظر القانون الدولي. انظر كذلك: حسن الجلبي ـ القانون الدولي العام، بغداد، ج 1، 1964.
وكذلك كتاب: حنّا أرندت ـ «تفاهة الشر.. آيخمان في القدس»، تقرير حول «تفاهة الشر»، دار الساقي، بيروت ـ لندن 2018.
قارن كذلك: مقالتنا «تفاهة الشر»، جريدة الخليج «الإماراتية»، 31 تموز (يوليو) 2019.

بضع مئات من زعماء الصّهيونيّة وأصحاب رؤوس الأموال، جرت تغطية كاملة لإرسال عشرات الألوف من اليهود إلى أفران الموت النازية، وقد ساهم كاستنر، كما هو دور زعماء الصهاينة، في لعب دور المهدّئ والمخدّر للجماهير اليهوديّة في حينها، وزيّف المعلومات ومنع تسرّبها وانتشارها، كما أخفت الزعامات الصّهيونيّة في كلّ مكان حقيقة إبادة اليهود على أيدي النازيّين لفترة غير قصيرة، محاولة إيهام الرأي العام العالمي ولضمان استمرار تعاون الصّهيونيّة مع النازيّة.[1]

وتحاول «إسرائيل» والحركة الصّهيونيّة اليوم، الادّعاء بأنّ سبب اللّاساميّة هو مجرّد كراهية وضغائن دون أيّة علاقة بالنّظام الاجتماعي، في حين أنّ عرّاب الصهيونية هيرتزل كان يؤكد هذه الحقيقة حين يقول: «الشّعوب التي يعيش اليهود بين ظهرانيها كلّها على السّواء سرًّا أم علنًا ساميّة، ولذلك فاللّاساميّة أبديّة».

وتشير العديد من الوثائق بما فيها مذكّرات ريدليخ إلى تشجيع القيادات الصّهيونيّة أحيانًا لنزعة العداء للساميّة ولدفع اليهود للهجرة من أوطانهم والرّحيل إلى أرض «الميعاد»، سواء قبل قيام «إسرائيل» أو بعدها.

ويحدّد الكثير من الباحثين والمؤرّخين ظهور اللّاساميّة في سنوات السّبعين من القرن التاسع عشر، **واللّاساميّة هي جزء من الإيديولوجيّة العنصريّة** انتشرت بادئ الأمر في ألمانيا وقد استخدمها بسمارك رغم

---

(1) انظر وثائق الحزب الشيوعي «الإسرائيلي» (راكاح)، وخصوصًا المؤتمر السادس عشر، الموضوع الخاص بالمسألة اليهوديّة، ص 070 ـ 071.

دعوته إلى اندماج اليهود، وذلك في إحدى المعارك السّياسيّة بين حزبَي المحافظين والأحرار آنذاك، **واللّاساميّة تعتبر اليهود «أمّة» منفصلة، لا يمكن لأفرادها الاندماج بالشعوب التي تعيش بين ظهرانيها.**[1]

لقد حاولت الصّهيونيّة التركيز على مقولتَين بهذا الصّدد:

الأولى: أبديّة اللّاساميّة.

والثّانية: فشل عمليّة الاندماج.

وفي هذا الخصوص، يشير هيرتزل في كتابه «**دولة اليهود**» The Jewish State الصّادر عام 1896، إلى أن «الشّعوب التي يعيش اليهود بين ظهرانيها، إمّا ضمنًا وإما صراحةً، لا ساميّة، وأنّ اليهود هم شعب واحد جعلهم أعداؤهم هكذا بدون موافقتهم كما يحدث مرارًا وتكرارًا في التاريخ».[2]

ولكن هل حقًّا يعارض الصهاينة اللّاساميّة كما يدّعون؟.. يجيب على ذلك **موريس كوهين** وهو من المتنوّرين اليهود حين يقول: «يقرّ الصهيونيّون إيديولوجية اللّاساميين العنصريّة ولكنّهم يستنتجون استنتاجات مختلفة، فبدَل العنصر (الآري) الذي اعتبرته النازيّة العنصر أو العِرق المتفوّق، يُعتبر اليهودي هو الجنس النّقي والأسمى وجميع الفضائل (حبّ العائلة والمثاليّة) هي من صفات روحه المميّزة».[3]

---

(1) انظر: إميل توما ـ جذور القضيّة الفلسطينيّة، إصدار م.ت.ف، مكان الإصدار (بلا)، تاريخ الاصدار (بلا)، ص 38 ـ 40.

(2) Hertzil. T. The jewish. State N.Y. 1946. P. 92.

(3) قارن: إميل توما ـ الصهيونيّة المعاصرة، مصدر سابق، ص 64.

4. مفهوم الأمّة اليهوديّة العالميّة ـ اللّامكانية Exterrtoriale

تحفل مذكّرات إيغون ريدليخ بعبارات رنّانة ومُبهمة عن «**الأمّة اليهوديّة العالميّة**» و«**الشّعب اليهودي العالمي المختار**». وهو كغيره من زعماء الصّهيونيّة يعتبر اليهود أمّةً واحدةً حيثما يكونون على الرغم من اختلاف اللّغة أو العِرق، ولذلك حسب دهاقنة الفكر الصّهيوني قاوموا «خطر» الاندماج والتذويب وقد أورد هيرتزل تعريفًا غريبًا للأمّة عندما قال: «أنّا لا أطلب من الأمّة لغة مشتركة واضحة وجليّة فإنّ تعريفًا متواضعًا وبسيطًا يكفي لأجل الأمّة. نحن وحدة تاريخيّة من أناس ينتمون أحدهم إلى الآخر بصِلَة واضحة وجليّة ولُحمتنا تبقى بحكم وجود العدوّ المشترك».

وقال هيرتزل في خطابه أمام **الكونغرس الصّهيوني** (أكتوبر 1899): «إنّني أعتقد أنّ الأمّة هي جماعة من النّاس ذات ماضٍ تاريخي مشترك وانتساب واضح في الحاضر التي تتوحّد لوجود عدوّ مشترك».[1]

ويستخدم الإيديولوجيون المعاصرون للصهيونيّة مصطلح **اللّامكانيّة للأمّة اليهوديّة العالميّة** (خارج نطاق المكان والأرض) مع أنّه ليس لهذه الأمّة أرض مشتركة ولا لغة مشتركة ولا اقتصاد مشترك ولا ثقافة مشتركة ولا أمزجة مشتركة.

وكان **فلاديمير لينين** قد دعا إلى «حقّ الأمم في تقرير مصيرها» بما فيه «حقّ الانفصال» وتكوين دولة مستقلّة ولكنه عارض بشدّة **فكرة البوند** ومطالبه باعتباره ممثلًا وحيدًا للبروليتاريا اليهوديّة ورفض اشتراطات

---

(1) قارن: فولف إيرليخ وآخرون ـ دراسات في الصهيونيّة، منشورات صلاح الدين، القدس، 1979، ص 14.

«الاتحاد العامّ للعمّال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا» بشأن **الاستقلال الثّقافي** ورأي البوند بصدد **تقسيم التنظيم الحزبي** حسب القوميّات. ودافع لينين عن **وحدة البروليتاريا** وجميع الكادحين في حزب موحّد وحارب انعزاليّة البوند وانحرافه والقومي.[1]

ولم يكتفِ لينين بذلك، بل نسَفَ في ذلك الظّرف فكرة الأمّة والقومية اليهوديّة التي حاول زعماء الصّهيونيّة التعكّز عليها، وأكد صحّة وصواب المنهج الماركسي بصدد حلّ المسألة القوميّة والمسألة اليهوديّة الدّاعي إلى تمثيل اليهود، أي اندماجهم في الشّعوب التي يعيشون فيها.[2]

يقول **لينين**: «إنّ اليهود المقيمين في العالم المتمدّن لا يشكّلون أمّة، فقد تمثّلوا أكثر من غيرهم، كذلك لا يشكّل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا أمّة، هذا هو الرأي الثابت الذي يقول به أولئك الذين يعرفون التاريخ اليهودي يقين المعرفة».

وكان ماركس، من قبل قد درسَ المسألة اليهوديّة قبل ظهور الحركة الصهيونيّة وفضح في كتابه «**المسألة اليهودية**» الأُسس التي قامت عليها فيما بعد الصهيونيّة العالميّة.

وبالرغم من عدم اكتمال المنطلقات الإيديولوجية للصهيونيّة، فقد فنّد ماركس مفهوم «**القوميّة اليهوديّة**» حين قال إنها «**قوميّة وهميّة**»، هي

---

(1) انظر: فلاديمير لينين ـ المختارات، 10 مجلدات، مجلد: رقم 2، موسكو، دار التقدم، 1979، ص 200 ـ 202.

(2) انظر: عبد الحسين شعبان ـ لينين والإيديولوجيا الصهيونيّة، مجلة الهدف، العدد 721، 30 نيسان 1984. كذلك كتابنا: القضايا الجديدة في الصراع العربي- الاسرائيلي، مصدر سابق.

قوميّة التاجر، **قوميّة رجال المال**، أي: «قوميّة الرأسمالي البرجوازي». وبيَّن ماركس: أنّ تلك البرجوازيّة لا تبلغ ذروتها إلّا مع **اكتمال المجتمع البرجوازي**.[1] وأشار ماركس إلى أنه «يجب ألاّ نبحث عن سرّ اليهودي في دينه، بل، فلنبحث عن سرّ الدِّين في اليهودي الواقعي في المصلحة العمليّة والمنفعة الشخصيّة، في المتاجرة والمال الذي أصبح بفضله قوّة عالمية».[2]

وعلى هدى ماركس دحَضَ لينين بشكل علمي «مفهوم الأمّة اليهودية» في زمانه، خصوصًا بعد قيام الحركة الصهيونيّة، كما أثبت خَطَل مفهوم الأمّة اليهودية العالمية ـ اللّامكانية التي تحاول الصهيونية المعاصرة التشبّث به.[3]

وأشار لينين إلى أن الصهيونيّة «تيّار رجعي برجوازي يهودي»، ذلك أن الأمّة حسب المفهوم الماركسي تعني: مجموعة ثابتة من الناس، تكوّنت

---

(1) انظر: كارل ماركس ـ المسألة اليهوديّة، ترجمة محمد عيتاني، بيروت، تاريخ النشر (بلا)، ص 54 ـ 93.

(2) المصدر السابق.

(3) يرِد مفهوم الأمّة اليهوديّة العالميّة (اللاّمكانيّة) كثيرًا في أدبيّات المنظمة الصهيونيّة، فعلى سبيل المثال ورد ذكره في المؤتمر الـ28 للمنظّمة الصهيونيّة العالميّة المنعقد عام 1972 في مدينة القدس تأكيدًا لما حدّده المؤتمر الـ27، من أن هدف الصهيونية المعاصرة، يتلخّص بـ:

1 ـ وحدة الشّعب اليهوديّ العالميّ ومركزيّة دولة «إسرائيل» في الحياة اليهوديّة.

2 ـ جمع شتات الشّعب اليهوديّ في «وطن».

3 ـ تقويّة دولة «إسرائيل».

4 ـ المحافظة على هويّة الشّعب اليهوديّ وقيمه الرّوحيّة والثّقافيّة.

5 ـ حمايّة حقوق اليهود في كل مكان.

انظر: إميل توما ـ الصّهيونيّة المعاصرة، مصدر سابق، ص 5 وما بعدها.

نتيجة تطوّر تاريخي، وتتميّز بالمشاركة في الحياة الاقتصادية والأرض واللغة والتراث الثقافي ويحدّد مضمونها العلاقات الطبقيّة الداخليّة.

وبديهي، فإن مثل هذا التعريف لا ينطبق البتّة على الجاليات اليهودية المنتشرة في العالم.[1]

وقد طرح لينين الحل الملموس للمسألة اليهوديّة في عصره حين أجاب عن السؤال التالي: **الاندماج أم الانغلاق؟**.. فأشار إلى ضرورة الاندماج والتمثّل وإلى أن فكرة القوميّة اليهوديّة تتّسم بطابع رجعي، ومثلما دحضَ لينين فكرة «الأمة اليهوديّة العالميّة» فإنه نقض فكرة الشعب اليهودي المختار، تلك الموضوعة التي تنطلق من فكره عِرقيّة غير مقنعة، مفادها: أنّ اليهود هم أرقى عِرق متمدّن «خير عِرق في العالم»، كما ورد في كتاب الفلسفة المدرسي في «إسرائيل».[2]

لقد نفى لينين آنذاك صفة الشّعب عن اليهود، فأشار إلى أن مفهوم الشّعب يتطلّب شروطًا معيّنة لا تتوفّر في هذه الحالة، فاليهود لا يمتلكون أرضًا ولا لغةً مشتركة ولا جامعًا يجمع اليهود الألمان والفرنسيّين باليهود البولونيين والروس، والخصائص المميّزة لليهود لا تحمل معها أي شيء من خصائص القوميّة.[3]

إن مذكّرات إيغون ريدليخ تفصح بشكل باهر السطوع عمّا يجول داخل أعماق الصهاينة وخلفيّاتهم الفكريّة والسياسيّة بدون إبهام أو

---

(1) قارن: فولف ارليخ ـ دراسات في الصّهيونيّة، مصدر سابق، ص 12.

(2) قارن: موريس صليبي ـ الإفلاس الفكريّ للإيديولوجيا الصّهيونيّة والتناقضات داخل الكيان «الإسرائيليّ»، مجلة النّهج، العدد 2، تشرين الثّاني/ 1983.

(3) انظر: يوري إيفانوف ـ احذروا الصّهيونيّة، وكالة نوفوستي، موسكو، 1999.

غموض، وهي توضح منذ عقود ميكافيليّة وعنصريّة وفاشيّة الفكر الصّهيوني والوسائل الدنيئة التي استخدمتها الحركة الصّهيونيّة ليس ضدّ الشّعوب التي تعيش بين ظهرانيها، بل ضدّ الأغلبيّة السّاحقة من الجماهير اليهوديّة، وخصوصًا الفقيرة منها، كما تكشف الطابع الزّائف لما يسمّى بـ«**الديمقراطيّة الصّهيونيّة**» من خلال العلاقة بين القيادات الصّهيونيّة وجماهير اليهود المتمثّلين منهم أو غير المتمثّلين، وتبيِّن «**المذكرات**» النّزعة الاستعلائيّة الاستيطانيّة الإجلائيّة، للحركة الصّهيونيّة إزاء الشّعب العربي الفلسطيني وحقوقه الوطنيّة المشروعة.

لقد قادنا ييرجي بوهاتكا، بشكل ممتع ومشوّق لتقليب أوراق الزّعيم الصّهيوني إيغون ريدليخ، واضعًا يده على أهمّ الأفكار والآراء التي ورَدَت فيها، ناقلًا بصورة حيّة ما كان يدور في الغيتو الصّهيوني في معسكر تيريزين، مصوّرًا بشكل دقيق الهوّة السّحيقة بين القيادات الصّهيونيّة وجماهير اليهود، راسمًا على نحو مثير العلاقة بين الزعامات الصّهيونيّة والنازيّة الهتلريّة، مدلّلًا بما لا يقبل الشّك على كون الصّهيونيّة طابورًا خامسًا[1] وهو ما بيّنته مذكرات الزّعيم الصّهيوني، إيغون ريدليخ.

---

(1) استُخدم تعبير (الطّابور الخامس) خلال الحرب الأهليّة الإسبانيّة في الثلاثينات، فقد تفاخر قائد الهجوم الفاشي على مدريد بأنّه إضافةً إلى الطوابير العسكريّة الأربعة التي تهاجم من الخارج، عليهم أن يحسبوا حساب الطّابور الخامس، مشيرًا بذلك إلى أنصاره داخل المدينة، وقد أصبح اسم كريسلنغ النرويجي أشهر مثالٍ للطابور الخامس، أي للخيانة لتعاونه مع المحتّلين النازيّين في الحرب العالميّة الثّانيّة تمهيدًا لاحتلال بلاده.
انظر: سوياك Sojak ـ العلاقات الدّوليّة في عصرنا، براغ، 1979، (نص تشيكي).

توطئة بقلم ييرجي بوهاتكا[1]

لم يأخذ جانب الدفاع عن الصّهيونيّة أرباب العمل الصهاينة البريطانيّون المواطنون التشيكوسلوفاكيون سابقًا، وعلى الأخصّ المحرّر السّابق في جريدة «براغر تاغبلات» كارل باوم، وحدهم، ففي الحملة المزعومة «للعداء للساميّة المنسوبة» إلى الصّحيفة الأسبوعيّة «تريبونا» (المنبر) و«الراديو التشيكوسلوفاكي» انبرى مختلف معاوني **محطة أوروبا الحرّة** وعلى موجات الأثير، ممّن لا يعرفون عن القسم اليهودي من الشّعب التشيكي شيئًا سوى أنّه موجود، نحن بالطبع سنحاول أن نوضّح للقرّاء وللرأي العامّ حقيقة الحركة الصّهيونيّة في حاضرها وماضيها.

وتكشف يوميّات أحد المسؤولين في الإدارة الذّاتيّة في معسكر تيريزين وعضو المنظّمة الصّهيونيّة «ماكابي هاكير» إيغون ريدليخ، ماضي الصهاينة وتعاونهم مع النازيّة في زمن الاحتلال الألماني النازي (لتشيكوسلوفاكيا). اكتُشفت يوميّاته في شهر شباط (فبراير) 1967. كانت اليوميات محفوظة في حقيبة نسائيّة سوداء، وقد بقيت بعد كاتبها الذي لقيَ مصرعه في معسكر أوشفيتز في 23 أيلول (سبتمبر) 1944.

---

(1) مع هذه الفقرة تبدأ نصوص الترجمة مع التعليقات التي كتبها ييرجي بوهاتكا على نصّ إيغون ريدليخ والذي نشره في مجلة تريبونا، وقد اعتبرناها بمثابة توطئة تمييزًا لها عن مقدّماتنا بجزئيها: كتاب وحكاية وكيف نقرأ المذكرات؟. المترجم ع.ش.

إنّ بعض العاملين في وسائل الدعاية الغربيّة ينعتون مجرّد التذكير بواقع أن «**اليهود حَكموا بالموت على اليهود**» في زمن الاحتلال بأنّه مظهر لمعاداة الساميّة، ولكن أحدًا لا يمكن أن يتّهم إيغون ريدليخ بمعاداة الساميّة، الذي سجّل في يوميّاته في 20 كانون الثّاني (يناير) 1943: «ينقلون كأنّما ينقلون ماشية صغيرة. القطعان ينقلونها ويسوقونها، ورُعاة هذه القطعان هم غَنَم أيضًا، إنّهم يهود يضطهدون يهودًا».

إنَّ الخرافة التاريخيّة الكاذبة والخالية من كلّ محتوى طبقي، حول «اليهوديّة الواحدة» التي كابدت العذاب في ظلّ الاحتلال النازي قد ترسّخت بفضل الدعايّة الصّهيونيّة، إلى درجة أنّ بعض المواطنين التشيكوسلوفاكيين قد صدّقوها ووقعوا في أسرها، فقد جاء في مداخلة المهندس **فرانتيشك فوخس**، المنشورة في أيلول (سبتمبر) 1972 في بشير الطائفة الدينيّة اليهوديّة، ما يلي «ولهذا نحن قاومنا جميعًا وبكلّ السّبل الممكنة الترحيل بصورة جماعيّة وحازمة». وكأنَّ صاحب هذه المداخلة لم يكن معتقلًا في تيريزين حين يقول: «جميع هذه الأعمال [المقصود أعمال المقاومة] ما كانت لتصبح ممكنة لو أنَّ تيريزين لم تكن تتحلى بروح المقاومة الجديّة والصلبة ولو لم تكن هناك وحدة عظيمة بين أغلبيّة المعتقلين وقادة الإدارة الذّاتيّة في الأفكار والرغبة في المقاومة». ذلك أنّ المهندس فوخس يعتبر الصهاينة من أعضاء مجلس الشّيوخ اليهودي (م. ش. ي) المشهورين بتعاونهم مع النازيين في عداد ممثّلي حركة المقاومة أمثال الدكتور فرانتيشك فايديان وياكوب إيديلستين والدكتور إيغون بوبر وغيرهم.

إنَّ يوميّات إيغون ريدليخ تفضح ـ وعن غير قصد منه ـ الخرافة المنافقة

بصدد وحدة مصير اليهود، وتبيّن تيريزين كمسرحٍ لمعارك طبقيّة دافع فيها اليهود التشيكيون المتمثّلون بأغلبيّتهم السّاحقة عن إنقاذ الشّعب التشيكي من الإبادة الجسديّة ضدّ السّلطات النازيّة وضد أعوان النازيين من الإدارة الذّاتيّة الصّهيونيّة في تيريزين وهيئتها التنفيذيّة ـ مجلس الشّيوخ اليهودي (م. ش. ي).

من هو إيغون ريدليخ؟

من هو؟.. وما هي الوظائف التي عهدت بها الحركة الصّهيونيّة إلى إيغون ريدليخ؟.. أيّ مركز كان يشغله في تيريزين، في هذه العتبة إلى جهنّم لمعسكرات الإبادة النازيّة؟.. أيّ دور نفّذه في الجهاز المعقّد لآلة الموت؟.

وُلد إيغون ريدليخ لعائلة أولوموتسيّة[1] في 18/ 10/ 1916 في عائلة تاجر يدعى ماكس ريدليخ وزوجته ميلينا دوناتوف وكان أصغر إخوته من عائلة ريدليخ. أخوَاه الأكبران: **روبرت وبافل** لم يبديا في عهد الشَّباب أي اهتمام يذكر بالحركة الصّهيونيّة. أمّا الأخ الأكبر **هوغو** (وُلد في 5/ 4/ 1904 في مدينة بايسنيتسا الألمانية) فقد كانت نظراته هو وحده مماثلة لنظرات إيغون. وفي زمن الاحتلال نظّم هوغو ريدليخ بوصفه أمين سرّ (م.ش.ي) في أولوموووتس وزلين، نقل سكان أولوموووتس إلى تيريزين. وحول كره أبناء المنطقة إلى أخيه. ينوّه إيغون ريدليخ في يوميّاته في 27 حزيران (يونيو) 1942 قائلًا: «وصلت قافلة إلى أولوموووتس. إنّهم يلعنون أخي، ويردّدون: راح الشّريف إرليخ وبقي ريدليخ؛ أنا حزين».

وحتى في عهد الجمهوريّة الأولى عمل إيغون ريدليخ بنشاط كعضو في

---

(1) نسبة إلى مدينة أولوموووتس في مورافيا. المترجم ع. ش.

المنظّمة الصّهيونيّة اليمينيّة «ماكابي هاكير». وكان مدرّبًا لكورسات إعادة التأهيل التي نظّمها الصهاينة من أجل الراغبين في النزوح إلى فلسطين. وقد واصل هذا النّشاط بعد احتلال تشيكوسلوفاكيا عندما سمع النازيون وفقًا لروح العقد (الاتفاق) مع المنظّمة الصّهيونيّة العالميّة (م.ص.ع) نزوح وهجرة الصهاينة البارزين إلى ما وراء البحار.

وعيّن ريدليخ في وظيفة رئيس مصلحة شؤون الشّباب لدى م.ش.ي في تيريزين ممثّلًا عن القمّة الصّهيونيّة في م.ش.ي ياكوب إيدلستين والمهندس أوتو زوتسكر. وجعلوه في الوقت نفسه رئيسًا لحركة الشّباب الصّهيونيّة. ويروي ريدليخ عن مهمّته ورسالته في تيريزين في تسجيل له بتاريخ 1/ 4/ 1942 «أنا مسؤول عن الحركة كلّها، ولا أعرف ما إذا كنت أستطيع البقاء في مكاني إلى النّهاية، لأنّ المسألة مسألة أعصاب». وفي 29 آذار (مارس) كان قد سجّل ما يلي: «في عيد الفصح (عيد خاصّ باليهود) نريد أن ننشئ لجنة من أعضاء الحركة».

وهكذا انتدب الصهاينة ريدليخ كذلك للجنّة المختصّة بتسليم وظائف الإدارة الذّاتيّة في تيريزين إلى ي.د.م. ش.ي. وجعلوه عضوًا في لجنة الاستئناف التي كانت تبحث وتقرّر بوصفها الهيئة العُليا الأخيرة في مسألة إدراج أسماء النّاس في قائمة الذين يتعيّن ترحيلهم (أو في مسألة شَطب أسمائهم من هذه القائمة) في قوافل تشكّلها لجنة من م.ش.ي.

وفي جلسات لجنة الاستئناف كان يشترك عضو الإدارة المركزيّة للأمن في برلين (الغستابو) ومعاون الأوبرشتورم **أدولف آيخمان** هو وكبير المفتّشين في الشّؤون الجنائيّة الـ SS الهاويت شتورم، إرنست موشي. كان

موشي يأتي بانتظام إلى تيريزين عندما كانوا يرسلون منها إلى الشّرق قوافل المرحّلين. وكان يبتُّ في المسائل المتعلّقة بالترحيل وبمجلس الشّيوخ اليهودي ولجنة الاستئناف التابعة له.

وكان إيغون رَيدليخ في عداد أفراد القمة القائمة في غيتو تيريزين، وبوصفه رئيس مصلحة شؤون الشّباب كان يشرف مباشرة على خمسة موظّفين وعلى عدد كبير جدًّا من «المربّين» (رؤوساء البلوكات) في بعض الثكنات. وكان في عداد أقرب مساعديه في مصلحة شؤون الشّباب معلّم التربية البدنيّة ألفريد أو (فريدي) هيرش (ولد في 11/ 2/ 1916 في مدينة أخن الألمانية). فريدريخ براغر (ولد في 2/ 9/ 1911 في فيينا)، زييف فيليم شيك (ولد في 13/ 5/ 1920 في أولوموووتس) أرفين بيهم وغيرهم.

العقد

لم يعترض الصهاينة على الخطّة النازيّة القاضيّة بترحيل اليهود ما يسمّى «أرض الاستيطان الألماني التاريخيّة، لأنّ أدولف آيخمان وعدهم بأن اليهود سيقضون فترة الحرب بأمان في غيتواتهم، وبأنّ الصهاينة سيشرفون على هيئاتهم الخاصّة للإدارة الذّاتيّة للغيتو ويربّون ويعيدون تربية الشّباب واليهود الكبار بروح الصّهيونيّة.

وسيهيّئون اليهود على هذا النّحو للانتقال اللّاحق إلى الدولة اليهوديّة التي وعدهم النازيّون بتأسيسها بعد انتصار الرايخ الثّالث..

وعن العقدِ المُبرم بين الصهاينة الذين تمثّلهم المنظّمة العسكريّة «**هاغانا**» وآدولف آيخمان، كتب إيغون ريدليخ في يوميّاته في 3 آذار

(مارس) 1942: «جرى حديث طريف مع ياكوب،[1] اطّلعنا على المفاوضات بين اليهود والألمان في ربيع 1940. طلب الألمان من اليهود التعاون والوساطة مع أمريكا لكي لا تدخل الولايات المتحدة الحرب إلى جانب بريطانيا. قطعت المفاوضات في صيف 1940 بعد انتصار الألمان الكبير في فرنسا، وآنذاك نشأت في الولايات المتحدة الأميركية حركة واسعة من أجل عدم الاشتراك في الحرب واعتَقَدَ الألمان أنّهم لم يبقوا بحاجة إلى وساطة اليهود. وفي المفاوضات اقترح الألمان تخصيص **آلاسكا** أو **روديسيا** أو **مدغشقر** «لأجل الدولة اليهوديّة»».

ولم يكن الألمان مُجمِعين في الرأي على مسألة واحدة. فقط هي ما يجب أن تكون عليه هذه الدولة ـ زراعيّة أم صناعيّة؟.. وعلى هذا النّحو نفسه لم يكن الحقد على اليهود لدى مختلف جماعات الألمان على درجة واحدة.

أبرمَ الصهاينة التشيكوسلوفاكيّون أيضًا عقدًا بشأن تأسيس الغيتو اليهودي في تيريزين. وقد أجرى رئيس مصلحة إسكان اليهود في براغ الدكتور **سيجموند سايدل** المفاوضات مع ممثّلي الصهاينة التشيكوسلوفاكيّين ياكوب إيدلستين والمهندس أوتو زوتسكر والدكتور فرنتيشيك فدلمان.

وبموجب العقد المذكور أصبح هؤلاء الممثّلون بالذّات أعضاء في م.ش.ي، فقد أخذ ياكوب إيدلستين لنفسه وظيفة الرئيس اليهودي الأعلى وأصبح أوتو زوتسكر نائبًا له. وعهد بالإدارة الداخليّة في تيريزين إلى الدكتور إيغون بوبر وبرعاية الصِّحّة إلى إيرليخ مونيك، وعيّن كارل

---

(1) المقصود هو ياكوب ايدلستين، رئيس م. ش. ي.

شليسر رئيسًا للتموين والمهندس ألبريت رئيسًا لقسم النّقل، وإلى هؤلاء الأشخاص عهد كلّيّة باختيار رؤساء المصالح وأقسام الإدارة الذّاتيّة موالين مثلهم.

منح النازيون القمّة (الصّهيونيّة) في تيريزين وبُناة الغيتو (ما يسمّى أوفباوم كوماندو 1 و2) امتيازات نازيّة خاصّة: فلم يعِدوهم بإمكانيّة العيش مع عائلاتهم وحسب، بل ضمنوا لهم عدم ترحيلهم من تيريزين، ومع أنّ النازيّين لم يفوا فيما بعد بوعودهم لقسم معيّن من نخبة تيريزين، ولكنّ هذا لا ينتقص البتّة من حقيقة تعاون الصهاينة مع المحتلّين.

تحت حماية النازيّين

تمتّعت الحركة الصّهيونيّة في غيتو تيريزين بالتأييد التام، سواء من جانب السّلطات النازيّة المحلّيّة أمْ من جانب أصحاب المقامات العُليا في الغستابو، بمن فيهم أدولف آيخمان، فبعد نقل تيريزين إلى الإدارة الذّاتيّة، أمّن أعوانهم على الصّعيد التنظيمي النّظام الاقتصادي والإداري، واهتمّ الصهاينة بالأمن الداخلي بمساعدة بوليسهم الخاص (ورئيسه **كارل لوفنستيم**) واستنادًا إلى الأرقام المتوسّطة التي حدّدتها السّلطات النازية كانوا يعدّون القوائم بأسماء الأفراد الذين يتعيّن إرسالهم إلى الشّرق ويقرّرون في مسألة حياة النّاس أو موتهم.

وحسب إفادات الحاكم النّازي الأخير في تيريزين (الأوبرشتورم SS ـ البوليس السّري) **كارل رام**، كان عدد الموظفين النازيين من الـ SS يتراوح في حدود 15 شخصًا، وكانت مفرزة خاصّة من بوليس المقاطعة (بوهيميا ومورافيا) تؤمّن حمايّة تيريزين الخارجيّة.

وهكذا استطاع نحو 15 من رجال الـ SS، بفضل المساعدة المتفانية التي قدّمها لهم والمتعاونين مع الإدارة الذّاتيّة ومن م ش.ي، أن يرحلوا بين سنّة 1941 وسنّة 1945 من تيريزين إلى الغيتوات الشّرقيّة والمعتقلات 153 ألف شخصًا بينهم 15 ألف طفلًا. ولهذا السّبب حمى النازيّون الصهاينة باستمرار حتى نهاية الحرب تقريبًا وضمنوا لهم ظروفًا مميّزة بالمقارنة مع اليهود الآخرين، ولا سيّما المتمثّلون منهم.

وفي كنف النازيّين قامت ثلاث منظّمات في تيريزين بنشاط سياسي هي **خالوتسيم هيغالوتس**، وهذا هو الاسم العام لمجموع فروع المنظّمات الصّهيونيّة التي كانت تهيّئ اليهود للهجرة إلى فلسطين (بما فيها منظّمة الشّباب هيغالوتس نوّار كولونيل خالوتسي) **ماكابي هاكايير** (وهي منظّمة صهيونيّة يمينيّة الاتجاه) **والمنظمة الصّهيونيّة النسائيّة** فيزو ـ (ويزو). ومن 27 أيلول (سبتمبر) إلى 4 تشرين الأوّل (أكتوبر) 1942 انعقد في تيريزين (بموافقة من النازيين) في النّهاية **مؤتمر هيغالوتس** الذي جاء إليه بصورة «شرعيّة» مندوبو المركز الصّهيوني في براغ.

واشترك إيغون ريدليخ بصفته مندوبًا عن مكاباي هاكايير في مؤتمر هيغالوتس أيضًا. وفي اليوم الأوّل بالذّات من عمل المؤتمر تحدث في مسألة **الهستدورت** (النّقابة الصّهيونيّة) قائلًا: «حاولتُ أن أوضّح ـ سجّل في يوميّاته ـ أنَّ العامل في الهستدورت ليس شرًّا لا بدّ منه، ولكن وجوده مهم للهستدروت، كذلك تحدّثت عن موضوع العلاقات بيننا وبين آرتيس إسرائيل (أرض الميعاد) ماذا نجني من هذا العيش التعيس هنا في الغيتو؟.. الجواب بسيط: يجب أن نتعلّم الكثير».

وفي الحقيقة، فإنّ الصهاينة تعلّموا الكثير من النازيّين أثناء إقامتهم في تيريزين، ولئن كانوا يرسلون إلى الموت دون واعز من ضمير اليهود التشيكيّين والسلوفاكيّين والنمساويّين المتمثّلين، فبالأحرى أن يقذفوا بالقنابل حتى الوقت الأخير من دون أيّ وخز من الضمير السّكان العرب الآمنين ويسقطوا الطائرات المدنيّة التابعة للخطوط الجوّيّة (للبلدان العربيّة) ويقتلوا الشّيوخ والنّساء والأطفال في الأراضي العربيّة المحتلّة.

المدينة الممنوحة

صدّق الموظّفون الصهاينة من م.ش.ي الدعاية النازيّة التي أعلنت أن «الفهرور» وَهَبَ اليهود مدينة لكي تكون بيتًا مؤقّتًا لهم. وراح كثيرون منهم إلى تيريزين ورأوا فيها نموذجًا مسبقًا لأرض الميعاد.

وقَعَ إيغون ريدليخ هو أيضًا مثل غيره من الصهاينة البارزين في شباك الوَهْم بصدد مدينة تيريزين اليهوديّة، واشترك في وضع خطّة لتحقيق ما يسمّى استيطان اليهود في تيريزين. وسجّل في يومياته في 15 آذار (مارس) 1942: «لقد اشتركت في عمل المجلس الذي أعدّ خطّة تسليم السّلطة في المدينة وبحثنا جميع تفاصيل الحياة في هذه المدينة اليهوديّة الأولى».

ولكن بعض الشّكوك أخذت تتبدّى آنذاك في صفحات يوميّات ريدليخ، فهو يعترف مثلًا في 17 آذار (1942): «يُخيّل إليَّ أنَّ عمل المجلس الذي كان يدير الحياة في الغيتو إنما هو أساسًا من الشكليات، لأنّ أغلبيّة الشّؤون التي كان يهتمّ بها المجلس، إنما كان الألمان هم الذين يضعونها في جدول الأعمال». وقد بدّدت القوافل المُرسلة إلى الشّرق (بما فيها القوافل التي تنقل الأطفال) أوهامه أكثر ما بدّدت، وسجّل في يوميّاته في 24 نيسان

(إبريل) 1942: «في هذا الشّهر ستمضي إلى الشّرق أربع قوافل أخرى وتجري المناقشات فيما إذا كان سيقوم هنا غيتو أو مستوطنة ذات إدارة ألمانيّة أو ما إذا كانوا سيواصلون هنا مجرّد اختيار النّاس لأجل إرسالهم إلى الشّرق. لقد تملّكني الحزن لأنّ كثيرين من الأطفال سيمضون، ولكن هذا هو مصيرنا «أن نبني دائمًا ومن جديد»».

ويتشبّث ريدليخ بعناد بالوعود النازيّة بالمدينة اليهوديّة ويصدّق النازيين مثل غيره من الصهاينة، ذلك أنّ التسليم بفكرة فشل العقد مع النازيين كان يعني الاعتراف بأنّ الصهاينة ليسوا سوى جهاز مساعد للفتك النازي.

وبما أنّ ريدليخ وغيره قبلوا مرّة واحدة وإلى الأبد بالفكرة القائلة إنّ تيريزين هي أهون الشّرور فقد ظلّوا في المناصب القياديّة وطلبوا من صهاينة براغ مساعدة أشدّ فاعليّة لأنّهم لم يستطيعوا أن يفهموا إطلاقًا لماذا لا يأتي الصهاينة مع القوافل الجديدة القادمة من براغ. أمّا هؤلاء فقد كانوا يرسلون بدلًا عنهم ممثّلي ما يسمّى بالفروع المندثرة، ويفترض ريدليخ أنّ اليهود التشيكيّين المتمثّلين قد فهموا أهميّة تيريزين بوصفها مكانًا يمكن البقاء فيه، وسعوا إلى المجيء إليها. ولهذا السّبب نفسه يشجب عزم المنظّمة القوميّة اليهوديّة (م.ق.ي) في براغ على بناء غيتو جديد في كييوفا على مورافيا لاعتقاده أنّ ذلك يؤدي إلى تقسيم وتشتيت القوى الصّهيونيّة.

وقد سجّل في يومياته في 23/ 6/ 1942: «يستعدّون لإنشاء غيتو جديد. باعتقادي أنّ سياسة أصدقائنا في براغ غير صحيحة. إنّ الصهاينة يريدون أن يبقوا في براغ، بينما عرف المتمثلون أهميّة معسكرنا ويرسلون رجالهم إلى الغيتو».

وفي حزيران (يونيو) 1943 كتب ريدليخ في يوميّاته، عندما أوصلوا

إلى تيريزين بضعة أعضاء من م.ش.ي. في براغ: «استقبلنا موظّفي البلديّة من براغ. أنا لا أظنّ أنّه لا يمكن فعل شيء نافع إلّا هنا في الغيتو. إنّهم خافيريم[1] ويعملون كذلك في براغ ولكنّي من جرّاء هذا فقط لا أستطيع أن أرسم على وجهي علائم الترحيب بهم».

لأجل جوٍّ الثّقة المتبادلة

لكي يعلّل الصهاينة استمرارهم في مناصبهم القياديّة وخاصّة المهندس أوتو زوتسكر تقدّموا برأيٍ مفاده: أنّه يجب على الإدارة الذّاتيّة اليهوديّة أن تُبرهن للقيادة النازيّة في تيريزين قدرتها ورغبتها في التعاون في جميع المجالات، وقد حاولوا أن يبرهنوا أنّ تنفيذ الأوامر النازيّة بلا قَيد ولا شرط يخلق جوّ الثّقة المتبادلة ويوسّع إطار الاستقلال الذّاتي للإدارة الذّاتيّة اليهوديّة.

وهذا ألحَّ م.ش.ي على الإعلان بصورة واسعة عن حالات معاقبة أولئك الذين يخالفون الأوامر بمنع المراسلة والذين يحذّرون الأقارب بالرسائل السّريّة من السّفر إلى تيريزين، ففي ذلك كانوا يرون خطرًا ليس على الطابع التخطيطي للإسكان اليهودي في المدينة وحسب، بل وكذلك اعتداء على دور الصهاينة القيادي. وهؤلاء الصهاينة لم يقوموا بأيّة خطوة لمنع تنفيذ الأحكام، بل حبّذوا كذلك عمليّة قرار **القومنداتور النازي** (الحاكميّة العسكريّة النازية) بتطبيق أحكام الإعدام بحقّ المخالفين، وفضلًا عن ذلك بذلوا قصارى الجهد لتهدئة استياء السّكان في تيريزين بالتذرّع بخرق (عن سوء نيّة) أوامر الإدارة الذّاتيّة اليهوديّة.

---

(1) المقصود أعضاء المنظّمة الصّهيونيّة.

ويتّضح من يوميّات إيغون ريدليخ أنّه لم يكن موافقًا كلّيًّا على تصرفات م.ش.ي وأنّه حاول أن يبرهن أنّه ينبغي «لاعتبارات تاكتيكية» ولأجل المظاهر على الأقلّ البقاءُ في معزل عن أحكام السُّلطة النازيّة بالإعدام. وبهذا الصّدد كتب في يوميّاته في 8 كانون الثّاني (يناير) 1942: «أصدر الألمان أمرًا بنَصب المشانق. إنّ جميع الذين أرسلوا الرّسائل يتهدّدهم الخطر. ألسنا الآن عند الحدود الأخيرة؟.. نخمّن فيما بيننا كيف سندبّر شؤوننا السكنية، ولكن متى نمعن الفكر في أنّه ليس ثمّة ما هو أهمّ من هذا الواقع وهو أنّه من الممكن أن يموت يهودٌ، كلُّ ذنبهم: أنّهم كتبوا رسائل إلى أقربائهم». وبعد يوم يعود ريدليخ إلى ممارسات م.ش.ي فيكتب: «يستحيل تحمّل كل كُره اليهود الذي نتحمّل مسؤوليّته مع أنّنا لسنا أكثر من دُمى تنفِّذ الأوامر، أيّةً كانت».

نُفّذت الأحكام مرّتين، وبحضور جميع أعضاء م.ش.ي أُعدم تسعة مواطنين تشيكوسلوفاك في 10 كانون الثّاني (يناير) 1942. وفي 26 شباط (فبراير) أُعدم سبعة آخرون، وكان ب. فيشر الذي أصبح فيما بعد عضوًا في **السوندر كوماندو** اليهوديّة في غرف الغاز الجديدة في معسكر أوشفيتز هو الجلّاد.

إنّ نشاط ريدليخ في لجنة الاستئناف لدى م.ش.ي قد ضاعف من أزمته النّفسيّة، ففي أوائل آذار (مارس) 1942 نراه يتساءل: «إنّه عمل مرهق أن يختار المرء لنفسه دور مقرّر مصير الآخرين... القوافل إلى بولونيا وطلبات الاستئناف عمل شرّير وذا مسؤوليّة: من يحقّ له شطب اسمه من قائمة المرحّلين؟.. الأطفال؟.. الشّيوخ؟». وفيما بعد يجيب ريدليخ نفسه في اليوميّات: «والأطفال والشّيوخ مسحوقون، ولكن للأطفال ما يكفي من

القوى لأجل الاحتمال»، «طوال اليوم كلّه نظرنا في طلبات الاستئناف. من الصّعب على المرء أن يكون وسيطًا، نظرًا لكثرة أسس المطالب بالشّطب من قوائم من يجب ترحيلهم، ودور الحماية عظيم جدًّا هنا. كل موظّف حتّى وإنْ لم يكن سوى ساعٍ في القسم يبذل جهده لاستثناء معارفه ويفلح في مسعاه في أغلب الأحوال». (من يومياته في آذار/ مارس 1942).

وتتوالى صورة المأساة المرعبة الواحدة منها أكثر رهبة من الأخرى على صفحات اليوميّات. وجاء في تسجيلات شهر تشرين الأوّل (أكتوبر) من اليوميّات ما يلي: البلبلة والهرِج والمرج والفوضى والمنازعات المتعبة والكبيرة، آلاف النّاس بأعصاب متوتّرة وقلوب مضطربة مملوءة بالخوف. يخافون ويبذلون الجهد لكي يتمكّنوا من البقاء. ونهارًا وليلًا يندفعون إلى هنا وهناك بِلا كلَل... ولكي يحفظ الموظّفون من مصلحة النّقل أقرباءهم، يُدرجون في قوائم القوافل المَرضى والشّيوخ المسنّين... كلٌّ يسعى في صالح صديقه، الجميع بلا استثناء يسعون ولا يكفي عدد النّاس الذين يمكن إرسالهم في القوافل... اليوم كلّه للعمل والقوافل. وبقدر ما يمضي الوقت، بقدر ما يصعب تلبيّة طلبات الاستئناف.

امتحان آخر للطبائع

في بيئة تيريزين التي تُضعف المعنويّات وتُفسد الأخلاق، تحطّمت بسهولة بالغة طبائعُ أولئك الذين كانت الإيديولوجيّة الصّهيونيّة عقيدتهم، وكانوا يبرّرون التضحية باليهود المتمثّلين «الناقصين» التشيكيّين منهم والسلوفاكيّين والنمساويّين بضرورة إنقاذ الشّعب المختار ونخبته الصّهيونيّة. وحتّى إيغون ريدليخ يبدأ بالانصراف عن قواعده الأخلاقيّة

حين يكتب عن طلبات الاستئناف الواردة من جميع الجهات، عن المحسوبيّة التي يندّد بها والتي لا تتيح كما يكتب بنفسه لمن ليس عندهم أحد هنا أنّ يطالبوا بشيء ما ويتذمّر كاتبًا: «ما أصعب أن يكون المرء هنا إنسانًا مستقيمًا!».

وعرّضه مجيء الأقارب لامتحانات جديدة.. «جاءت أخت عديلي واحتدمَ في نفسي صراع داخلي حاد. أَمجبرٌ أنا بإنقاذها من الترحيل أم لا؟.. ويقرّر أخيرًا اخترت حلًّا وسطًا: أحلت قائمتها إلى «ز»[1] وقلت له «يا»[2] إنّ أخت عديلي مُدرجة في قائمة الترحيل وأكثر من ذلك لم أفعل شيئًا. سنرى».

وفي عدد من المواضع في اليوميات يشكو ريدليخ من أخيه هوغو الذي اضطرّه أكثر من اللزوم إلى التدخّل أحيانًا كثيرة.. «كانا أخي وعديلي يحسبان أنّي سأساعد كلّ من يكتبان له رسالة توصية.. الأوّل غاضب عليَّ ويكتب إليَّ أنّي لا أهتمّ بعائلته.. هذا غير صحيح، فقد تدخّلتُ في صالح عائلة زوجته ولكنّي لا أستطيع أن أعتني بها كثيرًا. وعندها عائلة على درجة من الكُبر بحيث يتعيّن عليَّ أن أكرّس نفسي كلّيًا لها وحدها فقط، فيما إذا حاولت أن أعتني بها». وتوضّح يوميّاته على النّفور الصّارخ الذي كان ريدليخ يتوسّط ويتشفّع به لصالح أقربائه. وقد كان أقارب خطيبته غرتا باتسكوفا الاستثناء الوحيد. فعند وصول أمّها برنا باتسكوفا كتب يقول: «عملنا طوال الليل كلّه في بحث طلبات الاستئناف. كنت سعيدًا لأنّي توفّقت في شطب حماتي وشقيقة خطيبتي من القوائم».

---

(1) الحرف الأوّل من زوتسكر وهو نائب رئيس م. ش. ي.

(2) الحرف الأوّل من اسم ياكوب ايدلستين رئيس م. ش. ي.

وعندما وصلَتْ في 12 أيلول (سبتمبر) 1942 مع القافلة من براغ خطيبته (المولودة في 4 آب أغسطس 1916 في مدينة برنو) الخيّاطة من حيث المهنة والموظّفة قبل وصولها إلى تيريزين في م.ش.ي في براغ وعضو المنظّمة النسائيّة الصّهيونيّة «فيزو» تزوّجا حسب الطقوس الدّينيّة في تيريزين في 22 أيلول (سبتمبر) 1942.

إنقاذ القياسات الصّهيونيّة

إنّ السّعي الواضح لإنقاذ أعضاء المنظّمة الصّهيونيّة خافيريم من الترحيل رافقه عند رؤساء م.ش.ي والإدارة الذاتيّة المخاوف من أن تلومهم الأغلبيّة المتمثّلة في غيتو تيريزين على حمايتهم هذه. وهذا ما كان يخشاه الجميع بمن فيهم ريدليخ، على الرغم من أنّ العدد الذي لا يصدّق من الحالات الجديدة لاستثناء الخافيريم من اللوائح والاستعاضة عنهم في القوافل بالأطفال والشّيوخ ما كان بوسعه أن يزيد سمعة الصهاينة سوءًا فوق ما هي عليه من سوء. وقد كتب ريدليخ في 15 آذار (مارس) 1942: «نحن هنا الأقليّة ضدّ الأغلبيّة. نحن نملك السّلطة ولكنّنا لا نستخدمها... ولهذا سيحاسبنا خصومنا ذات يوم على كل شيء... لنا الحقّ في استثناء أعضاء المنظّمة من اللوائح؛ إنّهم شبّان وعوضًا عنهم يذهب الشّيوخ والمرضى والأطفال، والهوّة بين القيادة والباقين ازدادت عمقًا. يلومونا على أنّنا نقبل بالحماية التي يتمتّع بها الصهاينة».

ثمّ يتذمّر: «الحماية، الحماية.. لا أعرف كيف ستتمكّن ذات يوم الحساب عن كل شيء: عن كوننا أرسلنا الشّيوخ والأطفال، عن كل

حالة من حالات الحماية (وعددها كبير إلى درجة أنّه يجب وضع كل قائمة عدّة مرّات). إنّ استثناء الخافيريم من القوائم قضيّة صعبة وذات مسؤوليّة...».

يبدو أنّ ريدليخ يحاول أن يضع نفسه في وضع أولئك الذين يرحّلونهم حين يسأل: «وما عسى أن يحدث لو جاء هؤلاء إلى هنا؟.. ألا يطالبوا بأن تنال أنت أيضًا مكافأة على نشاطك؟.. هذه مشكلة، ومشكلة مهمّة جدًّا، وليست نظريّة فقط لأنّها تتعلّق بمسائل الحياة والموت».

كان لسياسة التدخّل هذه في مجرى عمليّة الترحيل قواعدُ دقيقة لتنظيم تلك الصّيغة وبيان بأولئك الذين يجب إنقاذهم من الترحيل بأيّ ثمن كان، والذين يجب حفظ حياتهم بأيّ ثمن كان. وكانت النّخبة الصّهيونيّة قد نظّمت في قائمة خاصّة، اشترك ريدليخ في وضعها، ومعلوم أنّه لم يكن من الممكن تأمين الحماية من الترحيل للخافيريم العاديّين الذين كانوا يسجّلون أسماءهم في الحالات القصوى في قوائم الإبعاد. وتدلّ يوميّات ريدليخ على أنّ الصهاينة العاديّين المرحّلين إلى الغيتوات الشّرقيّة حيث كان النّاس يموتون جوعًا وحيث كانوا يُميتونهم بالغاز، كانوا هم أيضًا يلعنون القادة الصهاينة من م.ش.ي والإدارة الذاتيّة. وقد كتب إ. ريدليخ في 25/ 4/ 1942: «كتبت لوتكا.ك. من بولونيا إلى براغ: إنّنا هنا نصون أنفسنا أكثر من اللزوم، وأنّ بوسعنا أن نشطب اسمها من اللوائح إن شئنا. كان يكفي أن يعرضوا علينا قطعة من السّجق وقطعة من الخبز. وقيل أيضًا أكثر من ذلك. ولكنّي لا أغضب...». وبعد يوم عاد من جديد إلى الشّكوى: «كتبت خافيريما من الشّرق أنّنا لا نبذل ما يكفي من الجهد

في صالح خافيريمنا. وكتبت: لو أنّي أعطيت فورت[1] أو غوندا قليلاً من السّجق والخبز لمَا ضمونّي إلى القافلة».[2]

إنَّ مقاومة الأغلبيّة التشيكيّة المتمثّلة في غيتو تيريزين والخافيريم العادين للنّخبة الصّهيونيّة لم تنجم عن سياسة هذه النّخبة في ما يتعلق بالترحيل فحسب، بل نجمت كذلك عن الامتيازات المادّيّة التي كان يتمتّع بها نشطاء المنظّمة الصّهيونيّة وقادتها. وهذا ما تدلّ عليه أيضًا يوميّات إ. ريدليخ في آذار (مارس) ونيسان (إبريل) 1942 المهندس (ز)[3]: «قد أغضب النّاس لأنّه أسكن موظّفي البلديّة الذين وصلوا للتوّ في مساكن أفضل من مساكن الآخرين... إنّ الحقد على هيئة الأركان لا يضعف الآن عند النّاس حتّى في الفراش...».

صحيح أن إ. ريدليخ نفسه كان يتمتّع بجميع المزايا الماديّة التي في منال النّخبة، وكان أحيانًا يتكشّف من مختلف فصول اليوميّات أنّه يعاني من وخز الضّمير، ولكنّه كان يطالب الخافيريم العاديين بأن يضعوا فوق المصالح الشّخصيّة، الموقف من قضيّة الترحيل التي نعتها بأنّها قضيّة حياة أو موت، وقد كتب: «يكرهون لجنتنا كثيرًا، أوليس ذلك لأنّ خافيريمنا كانوا يتوقّعون منّا التأمين المادي؟.. لقد اقتنعت بأنّه وصلت من الشّرق أيضًا رسائل حافلة بالحقد علينا لأنّ الخافيَريم الذين كتبوها كانوا يظنّون أنّنا نرسل النّاس بدافع منافع وتسهيلات ما خاصّة في صالحنا».

إنَّ تعاون النّخبة الصّهيونيّة مع النازيين كان مثل تعاون الطّابور الخامس

---

(1) عضو لجنة الاستئناف.

(2) كان أعضاء معسكر تيريزين يطلقون اسم إيغون غوندا أو «ردليخ غوندا».

(3) المقصود أوتو زوتسكر.

مع المحتلّين الألمان. فإنّ الصهيونيّين لم يحموا العديد من أعضاء المنظّمة (الصّهيونيّة) البسطاء من الترحيل وليس هذا وحسب، بل أسهموا كذلك بمساعدتهم النشيطة في إبادة القسم اليهوديّ بنسبة مائة بالمائة تقريبًا.

ولئن كان إ. ريدليخ قد أعرب في بداية نشاطه في تيريزين عن الأمل في أنّهم سيحمون من الترحيل، على الأخصّ الأطفال وأعضاء المنظّمة الصّهيونيّة العاديّين، فسرعان ما اقتنع بأنّ «الصّفقة مع الشّيطان»، كما يسمّون في المطبوعات أحيانًا كثيرةً وبلطف ورقّة التعاون الصّهيوني مع النازيّين تؤدّي كما يقال إلى جهنّم.

وقد كتب ريدليخ في يوميّاته عن مهمّته الحقيقيّة في تيريزين: «أريد أن أكتب مسرحيّة في الموضوع التالي: قضيّة رجل مكلّف رغمًا عنه بعمل ذي مهمّة معيّنة يجد نفسه في وضع يضطرّ فيه إلى القيام بأمور تتعارض مع عقيدته، وذلك لغايّة واحدة فقط هي أن يحفظ بضعة أفراد. أمّا الآخرون فيعتقدون أنّه يتصرّف وفقًا لعقائده، ولذا لا يعاملونه بمودّة. وختامًا: يثور ابنه بالذّات عليه ولكن الوالد (والده) يبقى في مركزه رغم كل شيء». صيانة النّخبة الصّهيونيّة إذًا، تلك هي رسالة إيغون ريدليخ في تيريزين.

حدود الإنسانيّة

إنّ موضوع اهتمامات إ. ريدليخ الإنسانيّة، لم يكن الأكثريّة المعذّبة المضطَهدة من البشر ولا حتّى اليهوديّة إجمالًا، بل قسمها الصّهيوني فقط. وكصهيوني قُح لم يُقم أيّ فَرْق بين المستثمِرين الأغنياء والبروليتاريّين المظلومين، بل ميّز بين أنصار الصّهيونيّة المخلصين واليهود المتمثّلين، وكانت نزعته الإنسانيّة تنتهي حيث يبدأ اليهودي المتمثل بالكفّ عن

التفكير كيهودي، وحيث كان يبدأ بالتصرّف كتشيكي أو سلوفاكي أو روسي، كإنجيلي، مسيحي، أو يتصرّف أخيرًا كبروليتاري أُممي مقتنع.

وبينما كان رؤساء م.ش.ي في تيريزين يضعون القوائم مشكّلين القوافل من التشيكيين اليهود ـ المسيحيّين، وبينما بدأوا مفاوضات سريّة مع **آيخمان وموس** حول ترحيل هؤلاء من تيريزين إلى الشّرق.. كتب ريدليخ في 27/ 12/ 1942: «جاء آيخمان ونحن نتوقّع قرارات مهمّة. لقد سمعت أنّه تُوضع قوائم بالمسيحيّين الذين سيغادرون تيريزين».

وبديهي أنّهم أدرجوا اليهود ـ المسيحيّين التشيكيّين المتمثّلين في قوائم التّرحيل مع جميع أقاربهم، بمن فيهم الأطفال، لأنّ هؤلاء كانوا هم أيضًا ينتمون إلى الفرع المُندثر، المتمثل.

وكان إ. ريدليخ يعتبر الحالات التي يعيش فيها الأطفال المسيحيون خيرًا من الأولاد اليهود بمثابة لوم له. وقد كتب في 20/ 2/ 1942: «كان ولدان مسيحيّان يتزحلقان على زلّاقتين، فقالت امرأة يهوديّة عندما رأت هذين الوَلدَين على زلّاقتين: يعيشون أفضل من أولادنا. إنّها على حقّ وأنا أقبل لومها مع أنّ الذّنب ليس ذنبي».

تخلق ملاحظات ريدليخ في يوميّاته أحيانًا انطباعًا مفاده: أنّ صاحبها يدرك محدوديّة النّزعة الإنسانيّة الموجّهة نحو رعاية القسم الصّهيوني فقط من اليهود. وأنّه يصنّف اليهود المتمثّلين أيضًا في عداد الكائنات البشريّة بدافع من التكرّم والتفضّل، فقد كتب مثلًا: «إنّ مسألة التسامح عظيمة ومعقّدة، فهل يحقّ لنا أن ننبذ شخصًا ما، لأسباب سياسيّة ودينيّة فقط؟..

أليس بوسع اليهودي ـ المسيحي يا ترى، إذا كان قد فارق اليهوديّة (لأنّهم عمدوه فيما مضى عندما كان طفلًا رضيعًا)؟».

لكن تحليلًا أعمق لأفكار ريدليخ يبيّن أنّها لا تؤثّر البتّة في موقفه من التمثّل بوصفه ظاهرة مناقضة تمامًا لأهداف الصّهيونيّة، فإن تسامحه حيال المتمثّلين ودعوته للتّسامح إزاءهم ينطلقان من فكرة تطبّق حاليًا في «إسرائيل»، ومفادها: أنّه ما من يهودي يعتبر مفقودًا بالنّسبة للصهيونيّة ما دام يحسب نفسه يهوديًّا، وإذا كان اليهودي قد انتمى إلى دين آخر وهو طفل، أي: بدون رغبته وإرادته، فإنّه يظلّ ممثّلًا ـ إبنًا للشّعب اليهودي العالمي المزعوم.

بروح تقاليد الهستدروت القادمة

يرفض ريدليخ ـ بكل بساطة ـ الاحتجاجات المشروعة من جانب الأغلبيّة المتمثلة على تربية أبنائها بروح الصّهيونيّة، زاعمًا: أن التربية في تيريزين لا تتّسم بطابع صهيوني، وفي يوميّاته 16 و18/ أيار/ مايو/ 1942 يجادل معارضيه السياسيين: «تدور في الغيتو مناقشات واسعة في مواضيع أخلاقيّة.. يتّهموننا بالعنف حيال الأطفال اليهود. المشاحنات بين الصهاينة والمتمثّلين تحزنني. وإنّي أرغب في الضّحك عندما ينتقدوننا لأنّنا نكره الأطفال على أنّ يصبحوا صهيونيّين. وإنّي لأغضب لأنّ خصومنا سيزعقون بعد الحرب زاعمين: أنّنا نحن الصهاينة كنّا أعداء على العموم لأيّة ثقافة تشيكيّة ولأيّ تقدّم، أمّا في الحقيقة، فإن أغلبيّة المربّين يهود متمثّلين، وإنّي أعترف بأنّ عدد المربّين والمربّيات الصهاينة عندنا لا يكفي».

هل كان الصهاينة في تيريزين أصدقاء للُّغة التشيكيّة والأدب

التشيكي؟.. هل يمكن القول، بالاستناد إلى مبرّرات ريدليخ، بعدم تحيّز هذا الصّهيوني حيال التراث الثّقافي التشيكي؟.. فقبل ذاك ببضعة أيّام في 4 نيسان (إبريل) 1942 يعرض ريدليخ إيمانه على النّحو التالي: صرتُ لا أبالي بالأغنيات والثّقافة التشيكيّة، فلقد نضجت من أجل ما سعيت إليه: أكون يهوديًّا بكل معنى هذه الكلمة. و«هل تشكّل أقواله بأنّ المربّين الصهاينة في تيريزين كانوا أقليّة، برهانًا كافيًا على أنّ تربية الأطفال لم تجرِ آنذاك بروح الصّهيونيّة؟».

تتجلّى التطلّعات الصّهيونيّة قبل كل شيء، في برنامج التربية الذي كيّفه واضعه إ.ريدليخ، من حيث الحجم والمضمون لأجل صفوف إعادة تأهيل «**هيغالوتس**» ـ (منظّمة الشّباب الصّهيونيّة) العاملة في سبيل نزوح اليهود إلى فلسطين. وكانت التربية حسب ريدليخ تتلخّص بإعداد الأطفال بواسطة العمل وفقًا لروح متطلّبات أعضاء الهستدروت القادمين، أي من مستعمري الأراضي العربيّة وبُناة الكيبوتسات (التعاونيات الزّراعيّة الصّهيونيّة). ونشاطه التربوي في تيريزين يتخلّله السّعي الدّائب إلى انتزاع الأطفال من تأثير الآباء المتمثّلين وإخضاعهم كليًّا للتربية الصّهيونيّة في مؤسّسات الأحداث. ولهذا غالبًا ما يتذمّر في اليوميّات من نقص المساكن لأجل إيواء الأولاد، فيضطرّ هؤلاء بالتالي إلى قضاء الليل في بيوتهم مع أمّهاتهم.

وبما أنّ الأطفال كانوا قد تربّوا بروح برامج التربية الوطنيّة التشيكيّة، لم يكن من الممكن عزلهم في هذه الحالة عن الشّعب وفصلهم عن تأثير العائلة، فإنّ ريدليخ يحاول أن يغيّر تفكيرهم بدون إكراه ولجاجة، بتوجيهه في مجرى حيثيّات الوعي الذاتيّ الدّينيّ اليهوديّ ولذا يدخل صلاة

الصّباح العبريّة، ويردّ في تشرين الأوّل (أكتوبر) 1942 على اعتراضات الملحدين الذين عارضوا تربية الأطفال الدّينيّة: «أفتّش عن أشكال جديدة للتّربية، للتربية اليهوديّة. نريد أن ندخل صلاة الصّباح عند الأطفال الصّغار أيضًا. وإليكم ردّ الفعل على هذا: هذا كما يقولون قد شاخ، هذا اللّٰه وحده يعلم ما هو. إنّهم لا يفهمون أنّ ـ شما إسرائيل ـ («اسمع يا «إسرائيل» ـ الكلمات الأولى من التعليم الدّينيّ اليهوديّ)، ليست ولا يمكن اعتبارها مظهرًا للنّزعة الدّينيّة، فهي مظهر قومي».

وبعد يوم واحد يعود إلى الموضوع ذاته: «مناقشة واسعة حول «الأشكال اليهوديّة» لتربية الأطفال. كثيرون من المربّين ـ وهم متمثّلون أو لا مبالون ـ عارضوا تربية الأطفال اليهوديّة. كثيرون ضدّ هذا. هذا برأيهم رجعي جدًّا...»، وبعد أسبوع أضاف: «نستعد لافتتاح مدرسة يهوديّة».

إنَّ مقاومة الأطفال التشيكيين لخطط المربّين الصهاينة المعادية للشّعب ـ علمًا: أنّ الأطفال قد رأوا في هؤلاء المربّين نظارًا يتعاونون مع النازيين ـ غالبًا ما كانت تتّخذ شكلًا حادًّا من الاضرابات الصّارخة. ويسعى ريدليخ لتحطيم مقاومة الأطفال العفويّة بصرامة المربّين وبالعقوبات. وفي هذا الصّدد يكتب في 20 كانون الأوّل (ديسمبر) 1942: الصّرامة.. لقد ذهبتُ إلى النّادي، وسمعَت زوجتي الأطفال يصيحون: «خنازير صهيونيّة!».

إنّ الأطفال المتمثّلين لم يشعروا حتّى بالحدّ الأدنى من الصِّلة باليهوديّة التي لم تكن تفرضها القوانين العرقيّة النازيّة وحسب، بل كان الصهاينة أعوان النازيّة أنفسهم يلقّنونهم بها أيضًا. وكان ينبغي على الأصدقاء

الأكبر سنًّا أن يوجّهوا بعضهم لكي لا تستتبع مقاومتهم للصهيونيّة مظاهر العدّاء للساميّة. وفي هذا المجال لم يعتمدوا على الأصل اليهوديّ، بل استغاثوا بالوطنيّة وبمزاج الكره للنازيّة لدى الشّعب التشيكي بأسره الذي كان براء من العداء للساميّة. وعلى هذا تدل اليوميات المكتوبة بتاريخ آب (أغسطس) 1944: «صاح طفل صغير بشيخ: يهوديّ قذر»، فاقترب منه رجل وقال: «ماذا تفعل؟.. ألا تخجل؟!.. أنت تشيكي وتشتم هكذا». وهذا يجري في الغيتو عام 1944.

وفي النّضال ضدّ الصّهيونيّة في غيتو تيريزين قام بالنّشاط الوطنيّ بروح الأخلاق الشّيوعيّة المربّي في البلوك أ ـ ل 4170 والتر إيزينغر معلم اللغة التشيكيّة من برنو، البالغ من العمر 29 عامًّا وعضو المنظّمة السّريّة للمقاومة التابعة للحزب الشّيوعيّ التشيكوسلوفاكي في تيريزين (من مواليد 27/ 5/ 1913) والشيوعي برونو سفيتسكر (دكتوراه في الفلسفة) والأستاذ المساعد في جامعة برنو.

وفي هدى أبطال الكاتبين السوفيتيَّين: **بيليخ وبانتيلييف**، صاحبَي الرّواية المشهورة عن تربية الأولاد المتشردّين في روسيا بعد الثّورة أسّس هذان الرّجلان في البلوك أ ـ ل ـ 417 «**جمهوريّة شكيد**»[1] وفضلًا عن تأسيس إدارة ذاتيّة للجمهوريّة، أخذا يصدران **مجلة «اعرف»**، ويربّيان الصّبيان بواسطتها، من كانون الأوّل (ديسمبر) 1942 إلى خريف 1944 بروح المواطنين اللاحقين في تشيكوسلوفاكيا

(1) رواية: «جمهوريّة شكيد».. تتحدّث عن حياة ودراسة الأطفال في السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر الاشتراكيّة في روسيا. وعبارة شكيد، هي اختصار لكلمتي المدرسة والبيت.

الاشتراكيّة. وعن هذه المجلّة يكتب ريدليخ في يومياته 13 حزيران (يونيو) 1943: «لقد صرت الآن مراقبًا لجريدة أولاد. إن قيمتها الأدبيّة عظيمة فعلًا، ولكن من العبث البحث في الجريدة عن تلميح على الأقل إلى الرّوح اليهوديّة».

ومعلوم أنّ. إ. ريدليخ لم يكن موافقًا على أفكار والتر إيسينغر الذي أعرب في إحدى مقالاته المكتوبة عام 1943 عن إيمانه الرّاسخ بالاتّحاد السوفييتي وعن اعتزازه بهذا البلد الاشتراكيّ الأوّل في العالم. وقد كتب: «الحديث اليوم بصورة سلبيّة عن الاتّحاد السوفييتي، لا يتجرّأ عليه أي إنسان عاقل في عموم العالم المتحضّر. وحتّى أولئك الذين كانوا لا يزالون حتّى بداية الحرب، يقولون عنه كلامًا سيّئًا أدركوا أنّهم قد أخطأوا، فقد غيّرت الحرب آراءهم. إنّ الحديث اليوم عن مثل هذه الأمور بصورة سلبيّة لا يعني الإفصاح عن اللّاموضوعيّة وحسب، بل يعني كذلك خيانة البشريّة والدّول المتمدّنة في العالم كلّه، والانحياز إلى صفوف أعداء الاتّحاد السوفييتي السافرين».

أمّا كيف كان إيغون ريدليخ يتصوّر التطوّر ما بعد الحرب، فإنّ هذا يتوضّح من تسجيل يوميّاته بتاريخ 6/ 11/ 1942: «عندما تضع الحرب أوزارها، سيكون ملايين اليهود في أوروبّا بدون أيّة وسائل للعيش، بدون أيّة أموال... وأظنّ أنّ يهود الولايات المتّحدة، سيتبرّعون بنقودهم لمساعدة اليهوديّة الأوروبيّة، ومن الممكن أن تسير الأمور إلى حدّ الهجرة الواسعة أيضًا، التطوّر السّريع والأزمة.. من هنا سيخرج آريتس إسرائيل قويًّا داخليًّا وخارجيًّا».

التربية لأجل التوسّع

إذا كان إ. ريدليخ يدعو المربّين إلى التسامح واللّطف لدى إعادة التربية بروح الصّهيونيّة ولكن لا يؤمن بنجاح إعادة تربية اليهود المتمثّلين الرّاشدين ـ المواطنين التشيكيين، وهو ينظر إليهم بازدراء ونفور ويسمّي اليهود المتمثّلين بـ«**الغويا**» ويكتب في يوميّاته عن المناقشات بين الصهاينة والمتمثلين في 13/ 5/ 1942: «برأيي كل هذا لا يساوي شيئًا، فإنّ كل امرئ هو بالفعل شخصيّة صاغ لنفسه عقيدة خاصّة به، وما دام الحال هكذا، فإنّه ينقل مركز الثّقل إلى تربية الأطفال وفي هذا المجال يعلّق أهميّة خاصّة على تعليم العبريّة.

«إن عشرين تلميذًا، يتعلّمون العبريّة، هم أفضل بالنّسبة للصهيونيّة من مائتين يصبحون صهيونيّين بتأثير حديث واحد»، 13/ 5/ 1942. وبعد إتقان العبريّة يجب أن يأتي التخلّي عن اللغة والثّقافة التشيكيّة باعتبارهما غريبتين عن الرّوح الصّهيونيّة ونمط الأفكار الصّهيوني. وريدليخ نفسه يحسّن معارفه للعبريّة عند الحاخامَين المحافظَين: **ايككنا** و**وايس** و**سيجموند أونغر** اللذين علّماه كذلك كره «الغويا»، وكقومي برجوازي يهودي «صار لا يبالي بالأغنيات والثّقافة التشيكية»، وروحه تدفئها الأغنيات «الإسرائيليّة» والنّصوص الدِّينيّة اليهوديّة القديمة الحافلة بالصّوفيّة وبعداء «الشّعب المختار» للقبائل غير اليهوديّة.

وهذا ما تؤكده أيضًا ملاحظاته في أماكن مختلفة من اليوميّات، فمثلًا: بتاريخ 22/ 2/ 1942 يكتب: «أمسًا أقيمت تمثيليّة أولاد... في الختام غنّوا أغنيات ذائعة، ثمّ غنّى أحدهم لما فيه فرحي»، «حاتكوه» أغنيّة الأمل[1]

(1) (نشيد صهيون).

وردّد آخرون الأغنية، «لقد سُررت جدًّا لوجود يهود جيّدين هناك»، وفي 14/ 9/ 1943 يمتدح القطعة الموسيقيّة التالية: شابّة صغيرة تذهب إلى «إسرائيل». مسّاح الأحذيّة يمسح جزمتَي النّبي إلياس.

يتبدّى الموقف القوميّ التعصّبي بالنسبة لريدليخ لا حيال اللغة التشيكيّة فحسب، بل أيضًا حيال لغات الشّعوب الأوروبّيّة الأخرى. ومن هذه المواقع لا يستحق حسب رأيه تقديم أي تنازل سوى للغة الألمانية. يتذمّر في يوميّاته المسجّلة 15/ 2/ 1942 من اللّوم والانتقاد الذي يوجّهه إليه المتمثلون الذين يعتبرون أنّه من غير اللائق إطلاقًا في مثل هذا الزّمن وفي وظيفته التكلم بلغة السجّانين: «إن الحقد علينا لا يضعف، أمسًا شَتَموني لأنّي تكلمت بالألمانية...».

ومن موقع الغازي والمستعمر القادم للأراضي العربيّة، يؤكد ريدليخ: أنّ التربية الصّهيونيّة لمؤسّسي وبُناة الدّولة «الإسرائيليّة» المُقبل، لا تشمل معرفة العبريّة وحسب، بل تشمل كذلك دراسة اللغة العربيّة. «منذ ثلاث سنوات، أدرس العبريّة، والآن من النّادر أن أواجه كلمات لا أفهم معناها... أنا مجتهد جدًّا، ولكن لا يسعني القول: إنّي أعرف هذه اللغة ولكن ماذا سيفعل أولئك الذين سيبدأون دراستها في آرتيس إسرائيل؟.. إنّهم لن يتعلّموا يومًا هذه اللُّغة. والحال ستدخل دراسة اللُّغة العربيّة أيضًا في واجبات كل يهوديّ في آرتيس إسرائيل.. فماذا سيفعلون؟.. إنّهم لن يعرفوا العبريّة ولا العربيّة» 25/ 6/ 1942.

وأيضًا في فترة أوجّ التوسّع النازي وإبادة الشّعوب، لم يحلم الصهاينة باحتلال أراضي الغير، بل أعدّوا كذلك لهذا الغرض المقدّمات الفعليّة،

ومنها دراسة لغة الشّعب الذي أرادوا استعباده (الشّعب العربي الفلسطيني ولغته العربية).

الدّيمقراطيّة على الطّريقة الصّهيونيّة

لقد دعم الصهاينة موقف م.ش.ي، ووجّهوا الجهود لتوحيد صفوف الصّهيونيّة، وكان هدفهم الرّئيسي، السّعيَ لتوحيد القوى والحيلولة دون تغلغل ممثلي وأمزجة الأغلبيّة المتمثلة في الإدارة الذاتيّة في تيريزين وفي م.ش.ي.

ويجد إ. ريدليخ تعليلًا إيديولوجيًّا لذلك في نصوص التوراة اليهوديّة، ويكتب في 12/ 2/ 1942: «قصّ عليَّ روبين حكاية ذات دلالة واسعة جدًّا. اليهود يقولون لكثرة وزن والأغلبيّة ترجّح: استفسر أحدهم من يهودي: إذا كانت تسود عندكم كما تزعمون قاعدة الأغلبيّة، فلماذا لا تتعمّد؟.. أجاب حاخام: وعندما أؤمن بكل قلبي، فإن الأغلبيّة لا تقرّر».

ولهذا السّبب بالذات، يرفض ريدليخ تاكتيك م.ش.ي الذي يحاول في الظّاهر أن يخلق انطباعًا مفاده: أنّه يعامل الأغلبيّة التشيكيّة في تيريزين بتسامح.. «الانضباط يهبط بشدّة، وإنّي أقصد الانضباط إزاء المؤسّسات اليهوديّة. هذه ظاهرة مؤسفة وذنبها يقع على الجانبين ـ على القادة الذين لم يجدوا سبيلًا قويًّا غير عنيف لأجل التوصّل إلى اكتساب الاحترام لأنفسهم وعلى المُقادين الذين يعوزهم الانضباط الدّاخلي». 24/ 4/ 1943.

وبعد شهر كتب ردليخ: «يخيّل إليّ أحيانًا أنّه يمكننا أن نرى هنا جميع الجوانب السلبيّة للديمقراطيّة.. البطء الذي تصبح فيه الأوامر سارية

المفعول، إذ يجب أن تمرّ عبر هيئات كثيرة... التسامح شيء سيّئ ولا شيء أسوأ منه... وبالنتيجة، هل يصدّق على العموم أحد ممّن أبديت التسامح حيالهم بأنّي كنت متسامحًا؟.. كأنّما لم يحدث العكس؟... قيادتنا تخشى اتّهامها بعدم التسامح، ولكن القيادة تحتاج إلى القوّة وليس إلى الخوف. والخوف من الاتّهام بعدم التسامح، إنما هو الخوف فقط، الضّعف فقط».

وتحفل يوميّات ريدليخ بجوّ المشاحنات السّياسيّة بين الصهاينة والمتمثلين أن ريدليخ يخضع للانضباط الصّارم في مسائل نشاط الحركة الصّهيونيّة جميعها تقريبًا. وينفّذ الأوامر الصّادرة عن رؤسائه لاقتناعه بصحّتها ولكنّه لا يعارض قطعًا إلّا في أمر واحد، هو الخطّ التكتيكي للنخبة التي لا تبذل برأيه ما يكفي من الجهود لأجل توحيد الحركة اليهوديّة كلها تحت القيادة الصّهيونيّة.

«بعد كل مذبحة يبدأ اليهود ينقسمون إلى مئات الجماعات التي تتشاجر فيما بينها. وكل هذا قد يكون مضحكًا لو لم يكن الموقف جديًّا إلى هذا الحدّ». إن ريدليخ لا يستطيع أن يفهم أنّ الحركة الصّهيونيّة تعجز بحكم مفهومها الخاطئ والكاذب عن «الشّعب اليهودي العالمي» الواحد عن الاضطلاع بدوره كقوّة موحّدة، وفضلًا عن ذلك لم تكن ثمّة وحدة في وجهات النّظر حتى في قيادة تيريزين. ففي 14/ 12/ 1942 مثلًا كتب إنّ «الفجوة بين ممثّلي الغيتو تزداد عمقًا بلا توقّف وإذا كان اليوم يتشاجرون، فما عسى أن يكون في آخر المطاف؟.. أَأْمَل بأنّ الصّراع بين الصهاينة لن يصبح جديًّا للغاية.. لأنّه إذا ما شنّ المتمثّلون هجومًا على الصهاينة، فإنّ هؤلاء سيتحدّون على الأرجح بفضل هذا بالتحديد؟».

على غرار مندلر

إن سعي الصهاينة إلى البقاء حتّى لو أدّى ذلك إلى التضحية باليهود المتمثّلين، قد دفعهم إلى درك الخادميّة والاستخذاء أمام السّلطات النازيّة في غيتو تيريزين. ولقد رأى الصهاينة المبرّر الأخلاقي لهذا النّشاط في نظريّة «الشّعب المختار» السّيّئة الصّيت. ففي 3/ 4/ 1942 يردّ ريدليخ في يوميّاته على المتمثّلين الذين انتقدوا الصهاينة في تيريزين على تعاونهم مع النازيين ولم يستطيعوا أن يفهموا لماذا يسعى الصهاينة بمثل هذا الحماس إلى البقاء عاملين على الهرب بجلدوهم بأيّ ثمن كان: «في إحدى البلوكات النسائيّة أوقفتني مربّية وسلّمتني يوميّات صديقتها، وفي هذه اليوميات قرأت مناقشة ممتعة بين صاحبة اليوميات والصهيونيّة وهي تستفسر بنفسها من نفسها، لماذا يتشبّث اليهود بالحياة بمثل هذه القوّة؟.. وأيّة قيمة لمثل هذه الحياة؟. إنّ هذه المربّية لا تفهم قدر شعبنا ومغزى رسالته لأنّها متمثّلة».

ومفهوم أن يكون إ. ريدليخ قد قلّص أبعاد النّقد الموجّه إلى الحركة الصّهيونيّة ورؤسائها في تيريزين، مصنّفًا الناقدين في فئة قليلة من النّاس السيّئين أو العاجزين. وقد انتقد بنفسه م.ش.ي على تهافت أعضائِه على السّلطة الشّخصيّة وكتب: «النّضال في سبيل مركز نافذ، الطّموح الذي هو بالأحرى شخصيّ ولا تبرّره الصّفات العمليّة... أنّا لا أحبّ أولئك

الذين يسعون دائمًا وراء مزيد من السّلطة. أنا طموح كذلك ولهذا السّبب أسعى إلى السّلطة ولكنّي أضع المبادئ الأخلاقيّة فوق الحبّ للكرامة الشّخصيّة».

ويستنكر ريدليخ مواقف م.ش.ي لخموله وأنانيّته وديماغوجيّته.. «مجلس الشّيوخ إنّما هو جمعيّة من قادة يحبّون التبجيل من قادة متغطرسين متكبّرين من جهة وهو عبارة عن أناس يثرثرون في الكلام عن أشياء لا يستطيعون فَهمها من جهة أخرى... المناقشات في حقوق مجلس الشّيوخ: ليس لأحد الحقّ في طعام أفضل. هذه جملة عظيمة مثلما هو عظيم ذاك الذي نطق بها. أمّا في الواقع فإنّ الشّيوخ لن يوافقوا يومًا عن التنازل لأيّ كان ولو عن جزء يسير من حقوق... مجلس الشّيوخ كلٌّ منهم ديماغوجي أكثر من غيره...».

وفي تسجيلاته بتاريخ 9/ 2/ 1942 يمكن أن نقرأ الاعتراف التالي: «يوجد بيننا بضعة مجرمين يهود»، إلّا أن ريدليخ لم يذهب يومًا إلى الاعتراف بوجود مثل هذه العناصر في الإدارة الذاتيّة اليهوديّة في تيريزين إلى حدّ انتقاد الصّهيونيّة ذاتها وإيديولوجيّتها. ولم تتكامل الجملة عن المجرمين اليهود. وصاحب اليوميّات لا يذكر أسماء هؤلاء المجرمين، بل بالعكس عندما عمد أهالي تيريزين بصورة عفويّة وعلى سبيل المحاكمة التلقائيّة إلى ضرب الصهاينة خدم النازيين، اضطلع ريدليخ بدور المدافع عن الصهاينة. وهكذا كان الحال أيضًا في شباط (فبراير) 1943 عندما أرسل النازيّون القمّة الصّهيونيّة في براغ إلى تيريزين بمن فيهم رئيس قسم النّقل في م.ش.ي في براغ والعميل الموثوق للقسم المعادي لليهود رابعًا. ب.4 IV ـ في مكتب الغستابو في براغ روبرت مندلر.

وقد سجّل ريدليخ في يوميّاته أوائل شباط (فبراير) 1943 ما يلي: «ضربوا مندلر حتى سال منه الدّم، وهو الآن في بناية لأجل المَرضى. اليهود فرحون.. وهذا هو انتقامهم من السّافل، ولكن حتّى إذا كان خاطئًا، فمن ذا الذي يحقّ له أن يرميه بحجر؟.. وماذا سيحدث غدًا؟.. أمسًا ضربوا مندلر ولكن ماذا سيحدث غدًا؟.. ألا ينهض المنتقمون ويشرعوا في مهاجمة أي شخص لهم معه حسابات شخصيّة ما؟.. السّابقة خطيرة...!».

ولكن النّشاط الإجرامي الذي قام به مندلر كان جليًّا ومنفِّرًا إلى درجة أن ريدليخ لم يخامره أي شكّ في ذنب مندلر ومسؤوليّته، ذلك أنّه أشار بنفسه في يوميّاته إلى أنّهم شرعوا يسمّون بِاْسم مندلر جميع من اقترفوا جرائم خطيرة ضدّ البشريّة، وهذا يتّضح أيضًا من تسجيل مشادّة كلامية بين ممثّلي النّخبة الصّهيونيّة، كتب عنها يوم 27/ 4/ 1942: «أمسًا بلغت الأمور حدّ الشّجار بين ف (فريدي هيرشيم) وبوبر. شتم ف. بوبر ووصفه بأنّه مندلر ثانٍ. أمّا أنا، فإنّي غالبًا ما أشبه مندلر حقًّا وفعلًا».

إنّ ردّ فعل ريدليخ على تصرّف عفوي بدافع الإحساس الإنسانيّ بالعدالة يرتبط بكل بساطه بواقع أنّ هذا التصرّف لا يوضع في إطار وعيه الحقوقي وإن الجزاء العادل قد استُعيض عنه بعمل ثأري (انتقاميّ) تحقّق بدون حكم قضائي حسب الأصول.

إنَّ ريدليخ بوصفه من منظّمي الترحيل من تيريزين إلى الشّرق ومن المسؤولين عن مأساة اليهود، يخاف محكمة النّاس التي تطاله هو أيضًا، بوصفه أحد أعضاء الإدارة الذاتيّة الصّهيونيّة في تيريزين وأحد أعضاء م.ش.ي.

ولهذا ينتظر بفارغ الصّبر نهاية الحرب والهجرة إلى فلسطين حيث يمكن أن ينقذ نفسه من وخز ضميره بالذات ويتخفى عن الملاحقات من جانب أولئك الذين عرَفهم في الغيتو والذين أذنب بحقّهم: (ماذا سيحدث حين يعود الجميع بعد الحرب؟. كيف سنعامل الآخرين؟. إنّي أشعر الآن بأنّ الهجرة إلى «إسرائيل» ستكون بالنّسبة لي فرارًا من النّاس هنا، من أوروبّا، فرارًا من حياتي هنا، فرارًا من الحياة القديمة إلى حياة جديدة. 14/ 6/ 1942.

ولأجل الدّفاع عن الصّهيونيّة ونخبتها التي تعاونت مع النازيين، ظهرت قصّة زائفة عن **براءة الصّهيونيّة**. فإن مشاركتهم مع النازيين في إبادة البشر، يُعاد إليها الاعتبار وتفسّر على أنّها مجرّد تخوّف زائد وتعذّر بحجّة: أنّ الأعضاء الصهاينة في م.ش.ي كانوا مجرّد ألاعيب ودُمى في يد قيادة المعتقل النازيّة، وأنّهم فضلًا عن ذلك، كانوا لا ينفّذون أوامر النازيين إلّا بالقسر والإكراه.

دُمى أم ممثَّلون؟.

«... ليس بإمكاننا أن نأخذ على عاتقنا كل كره اليهود، لأنّنا لسنا سوى دُمى تنفّذ أوامر أيٍّ كان... أحقًّا كان الصهاينة بالفعل دمى مسلوبة الإرادة بأيدي النازيّين، أم كانوا رغم ذلك كائنات بشريّة قادرة على التفكير والتحليل؟».

عندما أرسل النازيّون إلى تيريزين **هانز شوستر** (من مواليد 25/ 1/ 1895) العضو القيادي في لجنة العمل لدى م. ش. ي (ومقرّها في براغ ـ 1، شارع دلوها تشيدا (الشارع الطويل) (33/ 731) اعتزم سكان

تيريزين تأديبه مثل روبرت مندلر. وعن هذا كتب ريدليخ في 30/ 6/ 1943: «أرادوا أن يضربوا هانز شوستر، إلّا أن ياكوب (ايدلستين رئيس م.ش.ي) استطاع أن يقنع هؤلاء النّاس بعد الإقدام على ذلك. ولكن لماذا أفلح ياكوب في هذا؟.. لأنّ النّاس أرادوا أن يضربوا هانز أو بوندي بالذات. لربّما كان سلوك هذين حيال المجتمع غير صحيح، ولكن فقط لأنّهما فعلا ما أمروهما به».

كذلك **أدولف آيخمان**، كبير منظّمي إبادة النازيّين لليهود، قال في المحكمة: إنّه لا يشعر بأنّه مُذنب، لأنّه كان ينفّذ أوامر رؤسائه وحسب، وأخيرًا أكّد كبار المجرمين النازيين أمام المحكمة الدّوليّة في نورنمبرغ، أنّهم لم يفعلوا غير ما أمرهم به فهرورهم **أدولف هتلر**. والنّخبة الصّهيونيّة التي تعاونت مع النازيين اعتبرت بكل طيّب خاطر أن حُماتها والمتعاطفين معها من النازيين المباشرين غير مذنبين وأدرجتهم في فئة منفِّذي الأوامر الأبرياء.

خاتمة[1]

عبثًا يفتّش قارئ يوميّات ريدليخ في صفحاتها، ليجد أيّ تلميح إلى مقاومة التعسّف النازي، إلّا أن ريدليخ يلاحظ بحياء في بداية إقامته في تيريزين وبمناسبة إرسال 16 (ستّة عشر) من معذّبي تيريزين في كانون الثّاني (يناير) ـ شباط (فبراير) 1942 في محاولة للتبرير بقوله: «ألم يحن الوقت لقول كفى؟».

ولكن لم يقل أحد منهم «كفى»، بل بالعكس، فقد نفّذوا بطاعة أوامر النازيين وأُرسلوا إلى أوشفيتز وغيره من معتقلات الإبادة. ولم يقل أحد كلمة كفى، حتّى عندما شحنوا بعضًا منهم بالذات في قطارات الدّفن واقتادوهم إلى الموت.

لقد قضى النازيّون على **روبرت مندلر** و**كايز براون** و**أوتو زوتسكر** و**إيغون ريدليخ**، لا لأنّ هؤلاء تمرّدوا عليهم ورفضوا تنفيذ أوامرهم، بل إن هؤلاء ماتوا لأنّهم خدموا جيّدًا جدًّا وعرفوا الكثير جدًّا. ثمّ إنّ المنظّمة الصّهيونيّة نفسها لم تكن لها مصلحة في أنّ يبقى هؤلاء على قيد الحياة شهودًا على تعاونها مع النازيّة يسيئون كثيرًا إلى سمعته.

---

(1) الخاتمة لم ترد في تبويب النصّ، وقد ارتأينا أن نضع عنوانًا للقسم الختامي من رباعيّة ييرجي بوهاتكا في مجلة تريبونا «عندما كشف النقاب في يوميّاته» تسهيلًا للقارئ وخلاصة للموضوع. ع. ش. المترجم

إنَّ كثيرين ممّن اشتركوا بإبادة قسم من الشّعب التشيكي على نطاق واسع، ظلّوا على قيد الحياة بعد تطهير النازيين لصفوف نخبة تيريزين في عام 1944، فبعد الحرب، محوا الآثار وتستّروا بأسماء غريبة وغيّروا الأسماء وتواريخ الولادة في قوائم التّرحيل وفي شهادات سكّان تيريزين واستعاضوا عن وثائق الموتى بوثائق الأحياء. وهذا ما كتب عنه بتبصّر وبُعد نظر إيغون ريدليخ في يوميّاته بتاريخ 7/ 7/ 1942 «برأيي: أنّ كثيرين من اليهود الذين نعتبرهم أمواتًا سيرجعون، بعد الحرب».

وهكذا دارت في أرض تيريزين رُحى معركة طاحنة من أجل الحفاظ على الشّعب التشيكي، فقد أراد أعداؤه أن يُبيدوا كذلك ممثليه الذين كانوا يعتبرون أنفسهم يهودًا، فأرسلهم الصهاينة أعوان النازيّين إلى الموت في الغيتوات والمعتقلات الشّرقيّة، لأنّهم رأوا في هؤلاء **اليهود التشيكيين أعداءً للصهيونية.**

إنّ الإدارة الذاتيّة الصّهيونيّة في تيريزين، وهيئاتها التنفيذيّة. رغم المصير الفاجع الذي حلّ بها لاحقًا (ببعض أعضائها) كانت **منظّمة «تسير على الجُثث»** في طريقها، طريق التعاون مع النازيّين. وقد اشتركت في إبادة القسم اليهودي من الشّعب التشيكي بنسبة مائة بالمائة تقريبًا. وإن أغلبيّة اليهود (ليس في تيريزين حسب، بل في أوشفيتز وبيركيناو وماجدانك) إذْ كانوا ينظرون إلى الموت وجهًا لوجه، لم يتخلّوا عن عقائدهم الوطنيّة التشيكيّة، ولهذا يدرج الشّعب التشيكوسلوفاكي ضحايا تيريزين وأوشفيتز في مجمل المواطنين التشيكيّين والسلوفاكيين المقتولين وعددهم 360, 000 ألفًا ولن ينساهم أبدًا.

مختصرات

ـ م.ش.ي	مجلس الشيوخ اليهودي
ـ م.ص.ع	المنظّمة الصهيونية العالمية
ـ SS	الغيستابو أو البوليس السرّي
ـ آرتيس إسرائيل	أرض الميعاد
ـ م.ق.ي	المنظمة القومية اليهودية
ـ زاء	زوتسكر: «نائب رئيس مجلس الشيوخ اليهودي»
ـ يا	إيدليستين «رئيس مجلس الشيوخ اليهويدي»
ـ هيغالوتوس	«منظمة الشباب الصهيونية»
ـ الكيبيوتسات	«التعاونيات الزراعية الصهيونية»
ـ حاتكوه	أغنية الأمل (نشيد صهيوني)
ـ إيغون ريدليخ	غوندا ريدليخ (Gonda Redlich)

الملاحق

جورج حبش.. الاستثناء في التفاصيل أيضًا[1]

تستوقفني في حياة جورج حبش محطات عدّة: الأولى: تتعلّق بمذكّرات صهيوني، والثانية: بالحديث الذي دار بيني وبينه حول يفيسييف المفكر السوفييتي المعادي للصهيونية، والثالثة: عندما أسّسنا اللجنة العربية لمناهضة الصهيونيّة والعنصريّة، أما الرابعة: فكانت بُعيد مؤتمر «ديربن» حول العنصريّة عام 2001، وأما الخامسة: فهي تختزن لشؤون وشجون عراقيّة.

أخيرًا «استسلم» بهدوء جورج حبش، بعد أن سئِم من الصراع العبثي مع المرض، فارتضى الحقيقة الوحيدة المُطلَقَة، منذ بدء الخليقة حتى إشعار آخر، فلسنوات طويلة قاوم هذا الطائر المتمرّد المرض، وحاول أن يزوغ، يراوغ، يؤجل المواجهة لكن ذلك الذئب ظلّ يترصّده، حتى قرّر أخيرًا أن يواجه الموت بهدوء وكبرياء كقدر محتوم، وهو الذي عاش في قلب العاصفة لأكثر من ستّة عقود من الزمان.

لم أكتب لرثاء جورج حبش، فهناك مَنْ هُم أجدر منّي بالكتابة عنه، لا

---

(1) انظر: عبد الحسين شعبان ـ جريدة السفير (اللبنانية)، 1 شباط (فبراير) 2008. قارن: جريدة الجريدة (الكويتية)، 1/ 2/ 2008.

سيما من مجايليه ورفاقه، فقد كان رمزًا لجيل التمرّد والأمل، وقد تسنّى لي أخيرًا أن أقرأ مذكرات رفيقه الدكتور أحمد الخطيب الذي استوقفني ليس اهتمامه بالاستراتيجيات فحسب، بل انشغاله بالتفاصيل أيضًا.

المحطة الأولى: مذكّرات صهيوني، فقد أعددت نصًّا كان قد كتبه ييرجي بوهاتكا بعنوان «عندما تحدّث في يومياته...» نشر في حينها في مجلة «المنبر» أو المنصّة عام 1974 في براغ على أربع حلقات، وكانت إحدى المستشرقات قد لفتت انتباهي إليه، وقمت ـ في وقتها ـ بترجمته (ولستُ مترجماً) على أمل نشره، لكنه سرعان ما ضاع بين أوراقي في العراق التي عبثت بها يد القدر. وبعد خروجي إلى المنفى مرّة أخرى استعدتُ النص وقمت بإعداده وكتبت مقدمة له، ووضعت له عنوانًا جديدًا وهو «مذكّرات صهيوني» صدر بكرّاس لاحقًا عن دار الصمود العربي 1985، ونشرته على خمس حلقات في مجلّة الهدف، التي تربطني بها صداقة حميمة منذ أن تعرّفت على غسان كنفاني في بيروت في عام 1970 وفي ما بعد بسّام أبي شريف في العام نفسه، وصابر محيي الدين رئيس التحرير في حينها.

بعد استكمال نشر المادة، هاتفَني الأخ والصديق تيسير قبّعة وقال لي: «الحكيم بدّو يشوفك» والتقيته واستفسر عن إمكان الحصول على نص المذكرات التي تعود إلى إيغون ريدليخ عضو المنظمة الصهيونية «مكابي هاكير» الذي كان معتقلًا في معسكر أوشفيتز في جمهورية تشيكوسلوفاكيا سابقًا والذي تعاون مع جهاز الغاستابو.

وقد توقف الدكتور جورج حبش عند المعلومات التي وردت في المذكرات والتي كتبها إيغون ريدليخ في المعتقل، الذي أعدم في عام

1944، والتي هي عبارة عن صفقة لا أخلاقية بين النازيّة والصهيونيّة، فمقابل إرسال الآلاف من اليهود إلى أفران الموت النازيّة، يُرسل بضع عشرات أو مئات من القيادات والمتموّلين الصهاينة إلى فلسطين، وقد تمّ العثور على تلك المذكّرات في سقف لأحد البيوت الحجرية في شارع غودوالدوف «مدينة تيريزين» بعد أكثر من عقدين من الزمان.

جدير بالذكر: أن المذكرات كُتبت بطريقة حذرة خوفًا من وقوعها بيد جهاز الغاستابو، لكنها تفصح عن الكثير من الخبايا والخفايا حول التعاون والتنسيق بين القيادات النازيّة والقيادات الصهيونيّة في ما يتعلق بمأساة اليهود، ناهيكم بأنها تكشف عن طريقة التفكير الصهيونيّة الخاصة بالتربية والتعليم والتنشئة والعلاقات وغير ذلك.

وبسؤال «الحكيم» عن إمكان الحصول على نصِّ المذكّرات، توقعت أن العملية سهلة ويسيرة، ولكن بعد الاتصال بصديقنا القديم موسى أسد الكريم والطلب إليه تأمين نسخة من نصِّ المذكّرات، فاجأني محدّثي من براغ بعد أسبوع أن ييرجي بوهاتكا هو اسم مستعار لضابط مسؤول عن ملف النشاط الصهيوني في تشيكوسلوفاكيا أُقيل من منصبه عام 1968، ثم سُمح له بالكتابة بِاسم مستعار، والتقى الكريم زوجته التي كانت تعيش في إحدى المصحّات بعد وفاته بعامين وحاول الحصول على نسخة من المذكّرات حتى أن دفع ثمنها وكانت تلك إشارة من الدكتور حبش، لكنها رفضت الاستجابة لطلبه ثمَّ امتنعت عن الحديث في الموضوع.

واستفسرت من الصديق حسين العامل العراقي المخضرم في براغ عمّا إذا كان لديه معلومات عن الرّجُل وبعد تدقيق أبلغني أن ييرجي بوهاتكا كان قد ألّف كتابًا عن النشاط الصهيوني في الدول الاشتراكية واستلم

حقوقه البالغة 50 ألف كورون آنذاك وهو مبلغ لا بأس به في حينها، وقام بتصحيح المسوّدات واطّلع على صورة الغلاف وعلى الكتاب مطبوعًا في المطبعة، لكن الكتاب اختفى بعد يومين، ونقلت تلك المعلومات إلى الدكتور حبش الذي أصيب بدهشة وذهولٍ مثلي وربما أكثر، لا سيما أن ذلك جرى في ظل النظام الاشتراكي السابق.

المحطة الثانية: المفكر يفيسييف حيث دار الحديث بين الدكتور حبش وبيني حول المفكر السوفييتي المعادي للصهيونية يفيسييف: إذ كانت صحيفة الثورة السورية قد نشرت القسم الأول من مقابلة معه، لكنها لم تنشر القسم الثاني، حيث ندّد فيها بقرار التقسيم واعتبره أحد أخطاء القيادة الستالينية، لا سيّما نفوذ بعض العناصر الصهيونية في وزارة الخارجية، وكان الرجل قد وضع عددًا من الكتب التي تفضح الدعاوى الصهيونيّة التاريخيّة والمعاصرة، وكان متحمسًا للجنة الاجتماعيّة لمناهضة الصهيونيّة التي أسّسها أندروبوف عام 1983، لكن تغيّر الأحوال وتعاظم النفوذ الصهيوني أدى إلى عزله وسحب شهادته، ثمّ وُجد مقتولًا في ضواحي موسكو عام 1990.

وكان الحكيم يفكر في السبيل لمساعدة أصدقائنا في الظروف المتغيّرة بعد أن كنّا قد أسّسنا اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية. (لجنة دعم قرار الأمم المتحدة 3379) وهي المحطة الثالثة، فقد ظلّت اللجنة تراوح في مكانها بعد نكوص المنظومة الاشتراكية وانهيارها فيما بعد وتراجع العديد من القوى العربية والدولية عن مواقفها السابقة من الصهيونية، فسرعان ما تمّ «إعدام» القرار 3379 في 16 ديسمبر 1991.

أمّا المحطة الرابعة: فكانت عشيّة وبُعيد مؤتمر ديربن حول العنصرية عام 2001 حين التقيته قبيل سفري إلى جنوب إفريقيا، ثم استعرضت معه

نتائج المؤتمر الإيجابية بإدانة الممارسات العنصرية الإسرائيلية، وذلك خلال حضوري لإلقاء محاضرة في دمشق، لكن القلق كان قد بدأ يخيّم علينا بعد أحداث 11 سبتمبر التي سرقت الأضواء من مؤتمر ديربن. لعل محطة خامسة جديرة بالتوقف، فهي تختزن لشؤون وشجون عراقية، لكنها تحتاج إلى فرصة أخرى، وهو ما تحدّثت به مع الصديق صلاح صلاح حين أبلغني برحيل جورج حبش.

لينين.. كراكوف وأوشفيتز[1]

حين قرأت خبر الاحتفال بالذكرى الـ75 لتحرير «معسكر أوشفيتز» (الـ27 من يناير عام 1945) على أيدي الجيش الأحمر السوفييتي، استعدت حدثين مؤثرين في نفسي، عشتُ تفاصيلهما:

الحدث الأوّل: زيارتي لهذا المعسكر قبل أكثر من خمسة عقود من الزمان، وذلك خلال مشاركتي عام 1969 باحتفاليّة التحضير للذكرى المئويّة لميلاد لينين (الـ22 من أبريل عام 1970)، حيث التأم اللقاء في مدينة كراكوف (بولونيا)، التي كان لينين قد عاش فيها بضعة أشهر، وقد نظّمت الجهة المضيفة زيارة إلى معسكر أوشفيتز، ولا أنسى مدى تأثّري البالغ بما شاهدته وسمعته من أهوال تفوق حدّ التصوّر. ففي ساحة كبيرة وعميقة ذات سقف زجاجي، كانت تتناثر فيها عشرات الآلاف من فرش الأسنان والأحذية والملابس الداخلية والأمشاط والخواتم والساعات والمحافظ والصُّور والهُوّيات الشخصيّة للضحايا الذين قتلوا في هذا المعسكر، مثلما توقّفت في أماكن أخرى منه عند آلات التعذيب وآثاره

(1) انظر: عبد الحسين شعبان ـ جريدة «الشروق» (المصرية)، 19 شباط (فبراير) 2020.

المختلفة على الجدران وفي الزنازين والممرّات والقاعات، فقد كان كل شيء فيه يئنُ من فرط الألم على الرغم من مضيّ أكثر من عقدين حينها على تحريره.

أما الحدث الثاني، فهو الذي لفتت نظري إليه إحدى المستشرقات بشأن «مذكّرات» إيغون ريدليخ العضو القيادى البارز في المنظمة الصهيونية (ماكابي هاكير)، الذي كتب «يوميّاته»، وإن كان بحذر شديد، خوفًا من وقوعها بيَد السجّانين، حيث كان نزيلًا في أوشفيتز من عام 1940 لغاية عام 1944. وتكشف «اليوميات»، التي أعدّها للنشر بيرجي بوهاتكا (اسم مستعار) في أواسط السبعينيات، التعاون الوثيق بين الصهيونيّة والنازيّة بإرسال مئات الآلاف إلى أفران الموت، مقابل إرسال بضع مئات من المتموّلين والقيادات الصهيونيّة إلى فلسطين، وقد تسنّى لي إعداد وترجمة الحلقات الأربع التي نشرتها مجلة «المنبر»، لنشرها في مجلة الهدف الفلسطينية في أواسط الثمانينيات، وكان قد عُثر عليها في سقف أحد البيوت الحجريّة في مدينة جودوالدوف التشيكيّة في عام 1967، في حين أُعدم ريدليخ على الرغم من تعاونه مع النازية.

كان أدولف إيخمان الضابط النازي الكبير في جهاز القوات الخاصة (SS)المسؤول عن نقل المبعدين إلى معسكرات الإبادة، حيث اتّخذ القرار في مؤتمر فانزيه في الـ29 من يناير عام 1942، بتنظيم حملة إبادة في معسكر أوشفيتز والمعسكرات الستّة الأخرى، بما فيها معسكر النساء «رافينسبروك»، عبر آلة تدمير للقتل الجماعي بدوافع عنصريّة استعلائيّة شكّلت جوهر النظريّة النازيّة للحزب النازي الألماني، وذلك تحت عنوان: «الحل الثاني للمسألة اليهودية».

جدير بالذكر أن آيخمان اختفى بعد سقوط برلين، وظلّت الموساد «الإسرائيلية» تبحث عنه، حتى توصّلت إلى مخبئه في الأرجنتين، فقامت باختطافه في عام 1960، ونقلته إلى «تل أبيب»، فحاكمته ثمّ أعدمته. أما المسؤول عن المعسكر منذ تأسيسه، فكان ردولف هوس حتى نوفمبر عام 1943. وقد نظّمت عمليات قتل ومحارق في معسكر أوشفيتز ـ بيركيناو الموسّع، حيث كان الأسرى والسجناء ينقلون إليه من مدينة كراكوف، وكلّما ازدادت أعداد السجناء، كان يتم اللجوء إلى القتل. وبغضّ النظر عن التهويل أو التقليل من شأن عدد الضحايا، لكن رواية القتل كانت قائمة على قَدَم وساق، ويوثّق متحف المعسكر الضحايا القادمين من هنغاريا وبولونيا وإيطاليا وبلجيكا وفرنسا وهولندا وكرواتيا وتشيكوسلوفاكيا وروسيا والنمسا وألمانيا وغيرها، وقد نجا عدد قليل من المعتقلين، لم يزد عددهم على 7 آلاف، ولا سيّما بعد محاولة الـ SS تفريغ المعتقل والفرار غربًا مع قوافل الأسرى والسجناء بعد وصول الجيش الأحمر إلى سياج الأسلاك الشائكة.

في أوائل عام 1946 سلّمت سلطات الاحتلال السوفييتي أراضي المعتقل السابق إلى بولونيا، وارتفع النصب التذكاري 1979 في مدخله، واعتبرته اليونسكو ضمن قائمة التراث العالمي.

سيبقى ما حصل في معسكر أوشفيتز محفورًا في الذاكرة الجماعية العالمية، باعتباره من جرائم الحرب والإبادة الجماعية والجرائم ضدّ الإنسانيّة، ولا سيّما باستذكار معاناة الضحايا وعذاباتهم، ولعلّ ذلك يذكّر اليوم بما حصل ويحصل للفلسطينيين من مجازر في دير ياسين وكفرقاسم ومذابح الحرم الإبراهيمي والمسجد الأقصى وجنين، إضافة إلى مذابح

غزة والعدوان المستمر عليها، فضلًا عن حصارها الدامي منذ عام 2007 إلى اليوم.

ولا تزال المأساة الفلسطينية ماثلة للعيان وشاهدًا حيًّا على الجرائم «الإسرائيلية»، حيث يحرم الشعب العربي الفلسطيني من أبسط حقوقه الإنسانيّة، وفي مقدّمتها حقّه في الحياة والعيش بسلام، وتقرير المصير والعودة إلى وطنه وإقامة الدولة الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، بل وأكثر من ذلك أن حقوق الفلسطينيين وأراضيهم هي اليوم أكثر عرضةً للمزايدة في سوق النخاسة الدولية، تحت عنوان «صفقة القرن» من دون أي اعتبار إنساني أو حقوقي أو أخلاقي، حيث يجرى قضمها وضمها واستيطانها وإجلاء أهلها سكان البلاد الأصليين منها.

«تفاهة الشر»[1]

أثار كتاب حنة أرندت «آيخمان في القدس.. تقرير حول تفاهة الشر» ردود فعل حادة وغير عقلانية وعنيفة ضد الكاتبة والكتاب، وذلك منذ صدوره قبل نحو ستّة عقود من الزمان، لكن الجدل بأبعاده القانونيّة والسياسيّة والأخلاقيّة ما يزال قائمًا ومستمرًا.

الكتاب يتعلق بمحاكمة النازي آيخمان الذي اختطفته «إسرائيل» في عام 1960 من الأرجنتين بمخالفة صريحة لقواعد القانون الدولي ومبادئ السيادة، لاتهامه بارتكاب جرائم ضدّ الإنسانيّة وجرائم إبادة وجرائم حرب خلال الحرب العالمية الثانية، ولا سيّما مساهمته في المذابح ضدّ اليهود، وهو ما عُرف بـ«المحرقة اليهودية».

---

(1) انظر: عبد الحسين شعبان ـ جريدة الخليج (الإماراتية)، 31 تموز (يوليو) 2019.

وكان آيخمان قد اختفى عن الأنظار وعاش في عزلة كاملة بعد أن فرّ إلى الأرجنتين عقب انتحار هتلر، ولكن الموساد «الإسرائيلي» توصّل إليه بعد 15 عامًا، وقام باختطافه بإشراف مدير الموساد آنذاك إيسار هرئيل.

وقد حاول الصهاينة أن «يبثّوا» هذا الخبر «المفرح» عبر محطة الإذاعة «الإسرائيلية»، بعد أن اقتربت الطائرة لتحط في مطار بن غوريون، وجاء فيه أن جلّاد الشعب «الإسرائيلي» آيخمان سيكون في قبضة العدالة وتتم محاكمته في «إسرائيل» لينال جزاءه العادل.

ولعل السبب الحقيقي لمهاجمة أرندت، هو قولها: إن الصهيونيّة تجاوزت الظروف التي انبثقت منها، وهي تغامر بالتحوّل إلى «شبح حي وسط أنقاض زمننا المعاصر»، بالمقارنة مع قوميات القرن التاسع عشر، علمًا: أن أرندت هي نفسها كانت من أتباع الزعيم الصهيوني الألماني كيرت منفيلد «منظر الصهيونية الما بعد اندماجية»، الذي دعا إلى مساومة تاريخية مع الفلسطينيين من خلال رسم الحدود، بتأسيس دولة مشتركة علمانية مزدوجة القومية.

وقد استشرفت أرندت صعود تيار شعبوي ديني متشدّد بين «الإسرائيليين»، الأمر الذي لا بدّ من مشاركة الفلسطينيين.

أما «تفاهة الشر» في نظر أرندت، فتعود لعدم إيمانها بالنظريات الشمولية والممارسات الاستبدادية، والشر وفقًا لها، لا يحتاج إلى «وحوش شيطانية، بل إلى ما هو أخطر وأدهى.. الحمقى والأغبياء».

لقد شعرت أرندت بواجبها كصحفيّة وأكاديميّة وناقدة اجتماعيّة ولاجئة وشاهدة وناجية من المحرقة، أن تدوّن شهادتها في محاكمة

آيخمان «الجزار النازي»، وهكذا أقنعت مؤسسة روكفلر بتغطية المحاكمة، وقد صوّرت آيخمان كمجرم بيروقراطي «مجتهد» وتافه في آن، بقدر ما هو إنسان عادي وشخصية لا طعم لها، وهو أشبه «بشبح داخل سائل روحاني» أكثر منه شرّير، بقدر ما هو مخيف ومروّع، واستندت إلى عجزه عن التفكير والكلام المتماسك داخل المحكمة، وهو لم يجسّد الكره أو الجنون أو التعطش المتوثب للدم، بل شيئًا أسوأ بكثير، حيث جسّد الطبقية المتخفّية للشرّ النازي داخل نظام مغلق تديره مجموعة من المجرمين المرضى، ويهدف إلى نزع الشخصية الإنسانية عن ضحاياه.

وتعتقد أرندت أن الشر فقَدَ طبيعته المميّزة التي عرفها الناس، وذلك حين أعاد النازيّون تعريفه كـ«قيمة مدنية جديدة»، وضمن هذا العالم المقلوب بدا أن آيخمان لم يكن واعيًا لارتكابه أيّ شر، مثله مثل أي شرّير يعتقد أن ما يقوم به هو عين الصواب، خصوصًا بتخريب أسس القوانين الأخلاقية، وهكذا كان آيخمان طموحًا ومتشوقًا إلى الترقي في السُلّم الوظيفي.. فلم يبدِ أي تفكير متميّز يختص به، بل كانت «تفاهته» هي المعبر الذي أهلّه ليصبح واحدًا من أعظم المجرمين في العالم، ومثل هذا الاستنتاج الذي توصلت إليه ينطبق على جميع الأنظمة الشمولية «التوتاليتارية».

لقد اعتبرت أرندت المحكمة سياسية، نظمها بن غوريون للبرهنة على أن المحرقة أكبر مجزرة لا سامية في التاريخ، فالذين يرتكبون الجرائم ليسوا بالضرورة وحوشًا أو شياطين، مع ملاحظة انتقادية للمجالس اليهودية، التي لم تُبدِ التنبّه الكافي لمواجهة المخطط النازي، وقد ظنّوا أنهم يخدمون مصالح اليهود، وانتهى بهم الأمر إلى تسهيل مهمّة النازيين في إبادة أكبر عدد من اليهود بأقل جهد إداري وأقل كلفة ممكنة، في حين

كان عليهم نُصح الضحايا بالهروب والاختفاء، وليس تسليم أنفسهم لآلة الذبح.

ولعل مثل هذا الاستنتاج المهم، تناوله إيغون ريدليخ في يوميّاته التي قمنا بإعدادها وترجمتها من الأصل التشيكي بعنوان: «مذكّرات صهيوني» (1985)، والذي يكشف بشكل مباشر وغير مباشر أن هناك تواطؤًا بين القيادات الصهيونية، بما فيها منظمة «مكاباي هاكير» وبين النازية، وهو ما عكسته المذكّرات في معسكر أوشفيتز البولوني (1940ـ1944)، والتي عثر عليها في سقف أحد البيوت الحجريّة في شارع غودوالدوف في مدينة تيريزين بعد 23 عامًا من إعدام ريدليخ نفسه، ومثل هذه الاتهامات راجت حول تواطؤ زعماء المجالس اليهودية مع المخططات النازية في «إسرائيل» ذاتها وفي خارجها، حتى قبل صدور كتاب أرندت.

لقد كانت تلك الأسئلة صادمة ومحرجة للقيادات الصهيونيّة التي ساومت على حساب الضحايا الأبرياء الذين أرسلوا إلى أفران الموت مقابل إرسال بضع عشرات أو مئات من المتموّلين والقيادات الصهيونية إلى فلسطين، وهو الأمر الذي يكشف الأساليب غير الأخلاقية التي مارستها الصهيونية خلال الاحتلال النازي، ودورها المتواطئ في المحرقة اليهودية.

بوستروم - يفسييف.. ما أشبه الليلة بالبارحة[1]

كنت في كلمة الرثاء التي كتبتها عن **جورج حبش** الاستثناء في التفاصيل أيضًا (المنشورة في صحيفة السفير - بيروت) قد أشرت إلى

(1) انظر: عبد الحسين شعبان - جريدة الخليج (الإماراتية)، 16 أيلول (سبتمبر)، 2009.

قصة يفسييف، المفكر السوفيتي والمختص بالإيديولوجيا الصهيونيّة، والذي كان قد نشر عدّة كتب تدحض العقيدة الصهيونية، العنصرية، الأمر الذي ألّب ضدّه «إسرائيل» و«رأيًا عامًا» مناصرًا أو منحازًا لها أو متواطئًا معها أو محاذرًا منها.

وكانت **صحيفة الثورة السورية** قد أجرت مقابلة مطوّلة معه (قسّمتها إلى حلقتَين) نشرت الحلقة الأولى، ولكن الحلقة الثانية التي كان من المُفترض نشرها في اليوم الثاني لم تُنشر، وقد يعود السبب إلى تدخّل السفارة السوفييتيّة في حينها (1985)، الأمر الذي حال دون نشر بقيّة المقابلة. وإذا كان المكتوب يُقرأ من عنوانه كما يُقال، فإنَّ ما ورد في القسم الأوّل كان مراجعة ونقدًا للموقف السوفييتي من قرار التقسيم، وتخطئة لمواقف القيادة الستالينيّة، لا سيّما وقد انحاز بعض كبار موظفي وزارة الخارجية إلى قرار التقسيم وإنشاء دولة إسرائيل، خصوصًا أنهم من اليهود، محاولين إضفاء بُعدٍ مبدئي عليه بعد تبريرات البُعد السياسي والواقعي، ولعلّ هذه المساومة جاءت على حساب شعب شُرّد من أراضيه ولا ذنب له.

كان صدور قرار التقسيم بغضّ النظر عن تقويماته والذرائع المختلفة، ثمّ كيف سارت الأمور وأي الاتجاهات اتّخذتها، إلاّ أنه بكل المعايير قرار مجحف ويتعارض مع قواعد القانون الدولي، إذْ ليس من حقّ الأمم المتحدة، وهذه سابقة خطيرة، اتخاذ قرار بتقسيم بلد خارج رغبة سكان البلاد الأصليين، كما أنَّ مسؤولية بريطانيا دولة الانتداب كانت تقتضي تأهيل شعب فلسطين لنيل الاستقلال، لا تشجيع عوامل الانقسام والانشطار والهجرة اليهودية إليه.

وعندما اتّخذ الزعيم السوفييتي **غورباتشوف** قرارًا باتجاه إعادة البناء والشفافيّة «**البريسترويكا والغلاسنوست**» انتعشت الحركة الصهيونية في الاتحاد السوفييتي، ووجدت في ظروف الحرّية، فرصة جديدة للتعبير عن ضيقها وتبرّمها بما تعرّضت إليه من كبتٍ طيلة سنوات طويلة، منذ أن عارض لينين فكرة البوند بتأسيس فرع خاص للشيوعيين اليهود تحت باب الخصوصيّة، واعتبرها تقسيمًا للطبقة العاملة التي كان الشعار المركزي يدعو إلى اتحادها وجميع الشعوب المضطهدة.

وهنا ينبغي التفريق بين ما تعرّض له اليهود من اضطهاد وهدر سافر لحقوق الإنسان في الاتحاد السوفييتي وبين الموقف من الصهيونية وأساليبها الجهنّمية، وهو الموقف المتوازن، الإنساني، الذي لا بدّ من استحضاره دائمًا.

كان **يفسييف** أوّل من استهدف من الأكاديميين السوفييت بعد البريسترويكا، فاتّهم بأنه معادٍ للسامية، لمواقفه من الصهيونيّة والعنصريّة، وجرى التشكيك بأبحاثه ودراسته العلمية، وعُزل عن منصبه كباحث في أكاديمية العلوم السوفييتية، ومن ثمّ جرى سحب شهادته لأنه مُعادٍ للساميّة، وبعد سنوات خمس من المعاناة وُجد مقتولًا بالقرب من ضواحي موسكو.

«الشيء بالشيء يُذكر»، فالصحافي السويدي الذي جاء بمهمّة إنسانية ومهنية لتأليف كتاب، أرعبته الحقائق التي شاهدها وحاول أن يدوّنها عن بشاعة العنصريّة ـ الصهيونيّة، لا سيّما ما يتعلق بسرقة الأعضاء البشريّة، وهو ما كشف عنه عبر شهادات من 69 عائلة، إضافة إلى أنه أرّخ بدقة وقائع مواراة الشهيد أحمد غانم بالتراب ودفنه بعد أن نقلته المروحيّة الاسرائيليّة بعد اغتياله في يوم 13 أيار (مايو) 1992، ثم أعادت جثّته وقد تعرضت إلى

الشقِّ من الحلْقِ حتى أسفل البطن، وتمّ خياطتها بشكل رديء، ثم لُفّت بأغطية خضراء تابعة للمستشفى، وكانت الجثّة قد اختفت لمدّة خمسة أيام، وأعيدت بعد أن أُودعت بكيسٍ أسود وطُلب من عدد محدود من أقاربه في هزيع الليل دفنه بعد إطفاء الكهرباء، في ليل بهيم.

وكان **بوستروم** يتابع ذلك بدقّة واستطاع بمساعدة آخرين تصوير هذا المشهد، وهو الذي يمكن اعتباره إحدى الشهادات الحقيقية النادرة والموثقة من شخص محايد، وهو ما كشفه في 17 آب (أغسطس) 2009 في صحيفة **أفتون بلاديت** السويديّة، رغم أن هذه المعلومة لم تُنشر لأوّل مرّة، فقد سبق له أن دوّنها في كتاب صدر له قبل أكثر من ثمان سنوات.

أثارت «إسرائيل» ضجّة قامت ولم تقعد لحدِّ الآن حول «افتراءات» و«أكاذيب» الصحافي بوستروم، واعتبرته معاديًا للساميّة، وهي التّهمة ذاتها التي وجّهتها إلى **كورت فالدهايم** الأمين الأسبق للأمم المتحدة، عندما حاولت «نبش» ماضيه النازي عند ترشّحه لرئاسة النمسا، لأنَّ عهده اتّسم بإصدار قرارات لصالح القضيّة الفلسطينيّة، لا سيّما الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينيّة (**م.ت.ف**) كممثّل للشعب العربي الفلسطيني بصفة مراقب دائم في الأمم المتحدة، وكذلك بصدور القرار 3779 في 10 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1975 القاضي بمساواة الصهيونيّة بالعنصريّة واعتبارها شكلًا من أشكال التمييز العنصري، وقامت بهجوم استمرّ حتى اليوم ضدّ **قرارات مؤتمر ديربن** الذي دمغ الممارسات الإسرائيلية بالعنصريّة في عام 2001، وحاولت التأثير عليها في مؤتمر ديربن 2، حول مراجعة قرارات المؤتمر الأوّل (جنيف 2009)، ولم تهدأ إلّا بإلغاء قرارات ديربن، مثلما

حصل حين ألغت الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة القرار 3379، في سابقة دوليّة خطيرة وهي فضيحة بكل معنى الكلمة.

«إسرائيل» التي أثارت ضجّة حول الصحافي، امتدت لتطال حكومته وحرّية التعبير، لن تهدأ ولن تستريح إلّا بإسكاته أو حتى تصفيته أو إيجاد فخّ لإيقاعه فيه، وهو ما حاولته مع العديد من الشخصيات المعادية للصهيونيّة والرافضة لممارستها العنصريّة، وإذا كان يفسييف صديق العرب قد ذهب ضحيّة غدرٍ والتباس وتواطؤ، فلا ينبغي أن يذهب بوستروم هكذا، ضحيّة رخيصة ويضيع دمه مثلما ضاع دم يفسييف، في ظل الفوضى العارمة التي لفّت الاتحاد السوفييتي السابق.

وعلينا نحن العرب تقع مسؤولية على هذا الصعيد، ولنتذكر ماذا فعلنا ليفسييف!.. هل احتضنّاه وعوّضناه ونشرنا كتبه ودعمنا أبحاثه؟!.. وكنت قبيل مقتله قد اتفقت مع الدكتور جورج حبش على تكريمه ودعوته إلى سوريا ولبنان واطلاعه على أوضاع المخيمات ودعمه ماديًّا ومعنويًّا، إذ لا عمل من دون ثمن، وليكن ثمن الموقف المبدئي، موقفًا مبدئيًا وشجاعًا من طرفنا أيضًا.

وبهذه المناسبة فهي دعوة مفتوحة للنخب الحاكمة وغير الحاكمة: الثقافيّة والسياسيّة والدينيّة العربيّة والإسلاميّة والمسيحيّة، للدفاع عن بوستروم والتحذير من مغبّة تعرّضه إلى مكروه وتحميل ذلك للمستفيد من محاولة تصفيته وتغييب صوته وقلمه، وعلينا نشر كتابه بالعربيّة وترجمة مقالاته ودعوته إلى زيارة المنطقة وتنظيم حملة تضامن معه من مثقّفي وإعلاميّي العالم، وهي دعوة موجّهة إلى منظمات حقوق الإنسان ونقابات المحامين واتحادات الصحافيين والنقابات والاتحادات المهنيّة

والاجتماعيّة، والى المؤتمرات القومية والإسلاميّة والمنتديات التقدميّة واليساريّة.

إن حملة «إسرائيل» اليوم ضد بوستروم تشبه حملة القوى المؤيدة للصهيونية في داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه ضد يفسييف وأقرانه من المناوئين للصهيونية، بل هي انتقام ممّا أقدم عليه الزعيم السوفييتي الذي وافاه الأجل سريعًا **أندروبوف** من تشكيل اللجنة الاجتماعية السوفييتية لمكافحة الصهيونية عام 1983.

إن هيئة لمتابعة الجرائم الإسرائيليّة ووضع هذه الجريمة الجديدة في إطار التّهم الموجهة للمرتكبين الإسرائيليين وإقامة دعاوى فرديّة وجماعيّة ضدّهم، أصبحت تُهمًا واضحة مثل الإبادة الجماعية أو الجرائم ضدّ الانسانيّة أو جرائم الحرب، ويمكن أن ترفد هذه الجرائم الإسرائيلية، ملف الدعاوى ضدّ الجناة، الذين لا بدّ من تقديمهم إلى القضاء الدولي وإن كان الأمر آجلًا، فلا بدّ من إبقاء حلم العدالة الدولية قائمًا.

بطاقة شخصيّة

- أكاديمي ومفكّر من الجيل الثاني للمجدّدين العراقيين، فإضافة إلى انصرافه للعمل الفكري والحقوقي في إطار أكاديمي، فإنه اشتغل على نصوص سرديّة ثقافيّة وأدبيّة، تأليفًا ونقدًا ومراجعةً، في نوع من الكتابة بأجناس متنوّعة وحقول مختلفة.
- يعتبر «شعبان» من المثقفين العرب الإشكاليّين، فقد عمل منذ نعومة أظفاره في صفوف الحزب الشيوعي، لكنه لم يتقيّد بتعاليم المدرسة الماركسية التقليديّة، ولم يلتزم أطرها التنظيمية التي تمرَّد عليها، وهو وإن ظلّ في مدرسة اليسار التي يعتزّ بها، لكنه قدّم قراءات جديدة للماركسيّة من موقع نقدي، وله مساهمات متميّزة في إطار التجديد والتنوير والحداثة، خصوصًا الانشغال بقضايا الديمقراطية والمجتمع المدني والأديان والدساتير والقوانين الدولية، بما فيها النزاعات والحروب، وخصوصًا الصراع العربي ـ «الإسرائيلي»، إضافة الى قضايا السلام والتسامح واللاّعنف.
- درس «شعبان» وتعلّم في مسقط رأسه (في النّجف)، وأكمل دراسته الجامعيّة في بغداد (كليّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة)، ثم واصل دراسته العليا في براغ، فحصل على درجتي الماجستير من جامعة (17 نوفمبر) وجامعة (جارلس ـ كلية الحقوق)، والدكتوراه (مرشح علوم) في فلسفة القانون من أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية.

- عمل باحثًا وأستاذًا جامعيًّا في جامعة بغداد (مركز الدراسات الفلسطينية)، وجامعة صلاح الدين (كلية القانون ـ أربيل)، وجامعة اللاعنف (بيروت)، كما ألقى محاضرات بصفته أستاذًا غير متفرّغ في عدد من الجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات. وحاليًا هو عضو في مركز دراسات الوحدة العربية وعضو في مجلس أمناء المركز العربي لتطوير حكم القانون والنزاهة، وعضو المجلس الاستشاري لدار الخبرة (بغداد)، ومستشار في مركز حمورابي للبحوث والدراسات (بغداد)، والمدير العام للمركز الوثائقي للقانوني الدولي الإنساني (عمان)، ورئيس مجلس أمناء المعهد العربي للديمقراطية (تونس)، ونائب رئيس جامعة اللاّعنف «أونور» (بيروت).
- حازَ على أوسمة وجوائز عدّة، منها: وسام أبرز مناضل لحقوق الإنسان في العالم العربي (القاهرة 2003).

من إصداراته الأخيرة:

صدر للباحث أكثر من 70 كتابًا في مواضيع: القانون والسياسة الدولية والصراع العربي ـ الإسرائيلي، والأديان والقضايا الفكرية والثقافة والأدب والنقد، ومن كتبه الأخيرة:

* دين العقل وفقه الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021.

* في الحاجة إلى التسامح، دار النهضة العربية، بغداد، 2020.

* سلام عادل.. الدال والمدلول وما يمكث وما يزول، دار ميزوبوتاميا، بغداد، 2019.

* الإمام الحسني البغدادي.. مقاربات في سسيولوجيا الدين والتدين (التاريخ والسياسة)، دار إحياء تراث الإمام البغدادي، النجف، العراق 2018.

* أبو كَاطع.. على ضفاف السخرية الحزينة، دار الكتاب العربي، لندن، 1998، ط2 دار الفارابي، بيروت، 2018.

* الهويّة والمواطنة.. البدائل الملتبسة والحداثة المتعثّرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2017، وط2، 2020.

* المثقف وفقه الأزمة.. ما بعد الشيوعية الأولى، دار بيسان، بيروت، 2016.

* أغصان الكرمة.. المسيحيون العرب، مركز حمورابي، بغداد، بيروت، 2015.

* عبد الحسين شعبان.. المثقف في وعيه الشقي، حوار وتقديم توفيق التميمي، دار بيسان، بيروت، 2014.

* عامر عبد الله.. النار ومرارة الأمل، دار ميزوبوتاميا، بغداد، 2014.

* الإسلام وحقوق الإنسان.. المركز الثقافي العراقي، ط 2، بيروت 2014.

* الحبر الأسود والحبر الأحمر.. من ماركس إلى الماركسية، مركز حمورابي، بيروت، 2013.

* المجتمع المدني.. سيرة وسيرورة، دار أطلس، بيروت، 2012.

* كوبا الحلم.. الحلم الغامض، دار الفارابي، بيروت، 2011.

* لائحة اتهام.. حلم العدالة الدولية في مقاضاة إسرائيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.

* جدل الهويّات في العراق.. الدولة والمواطنة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.

* الجواهري.. جدل الشعر والحياة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1997. دار الآداب، ط2، بيروت، 2009. ط3، دار الشؤون الثقافية، بغداد .2010

* تحطيم المرايا.. في الماركسية والاختلاف، الدار العربية للعلوم (ناشرون) ومنشورات الاختلاف (الجزائر) ـ حوار وتقديم خضير ميري، بيروت، 2009.

* سعد صالح.. الوسطية والفرصة الضائعة، دار العربية للعلوم، بيروت، 2009، وط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2010.

* جذور التيار الديمقراطي في العراق.. هل انقطع نسل الليبرالية العراقية؟.. (قراءة في أفكار حسين جميل)، دار بيسان، بيروت، 2007.

* فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي.. الثقافة والدولة (مقدمة المطران جورج خضر) دار النهار، بيروت، 2005. (ط، 2 دار آراس، أربيل، 2012).

صدر عنه:

* عبد الحسين شعبان.. صورة قلمية.. الحرف والحق والإنسان، دار المحروسة، القاهرة، جمع وإعداد البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان، القاهرة، 2004.

* عبد الحسين شعبان.. الصوت والصدى.. حوارات ومقابلات في السياسة والثقافة، إعداد وتقديم كاظم الموسوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.

* عبد الحسين شعبان.. تونس والعرفان (وقائع حفل تكريم ومسيرة فكرية رائدة)، دار الفارابي، بيروت، 2018.

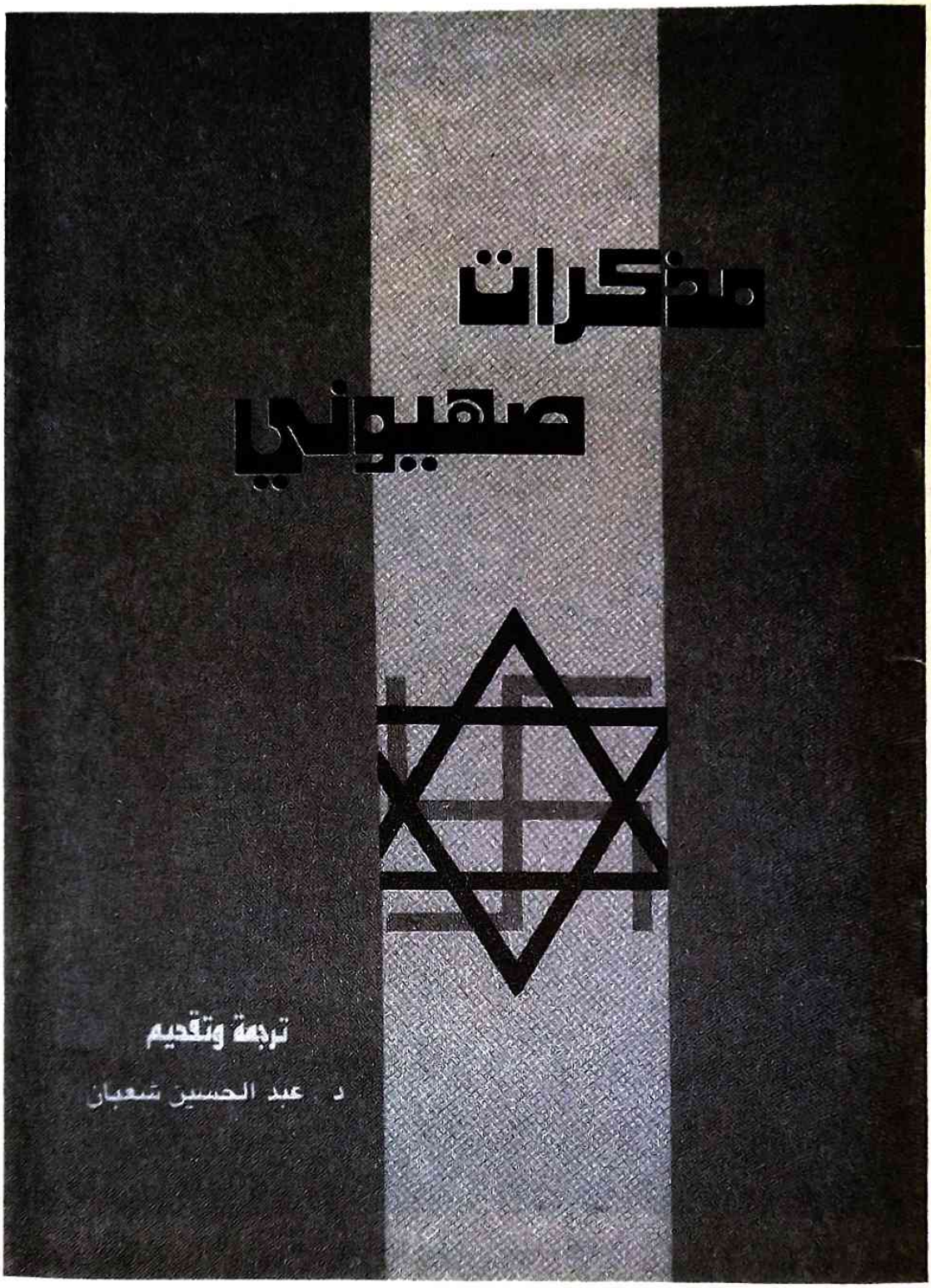
مذكرات
صهيوني
ترجمة وتقديم
د. عبد الحسين شعبان

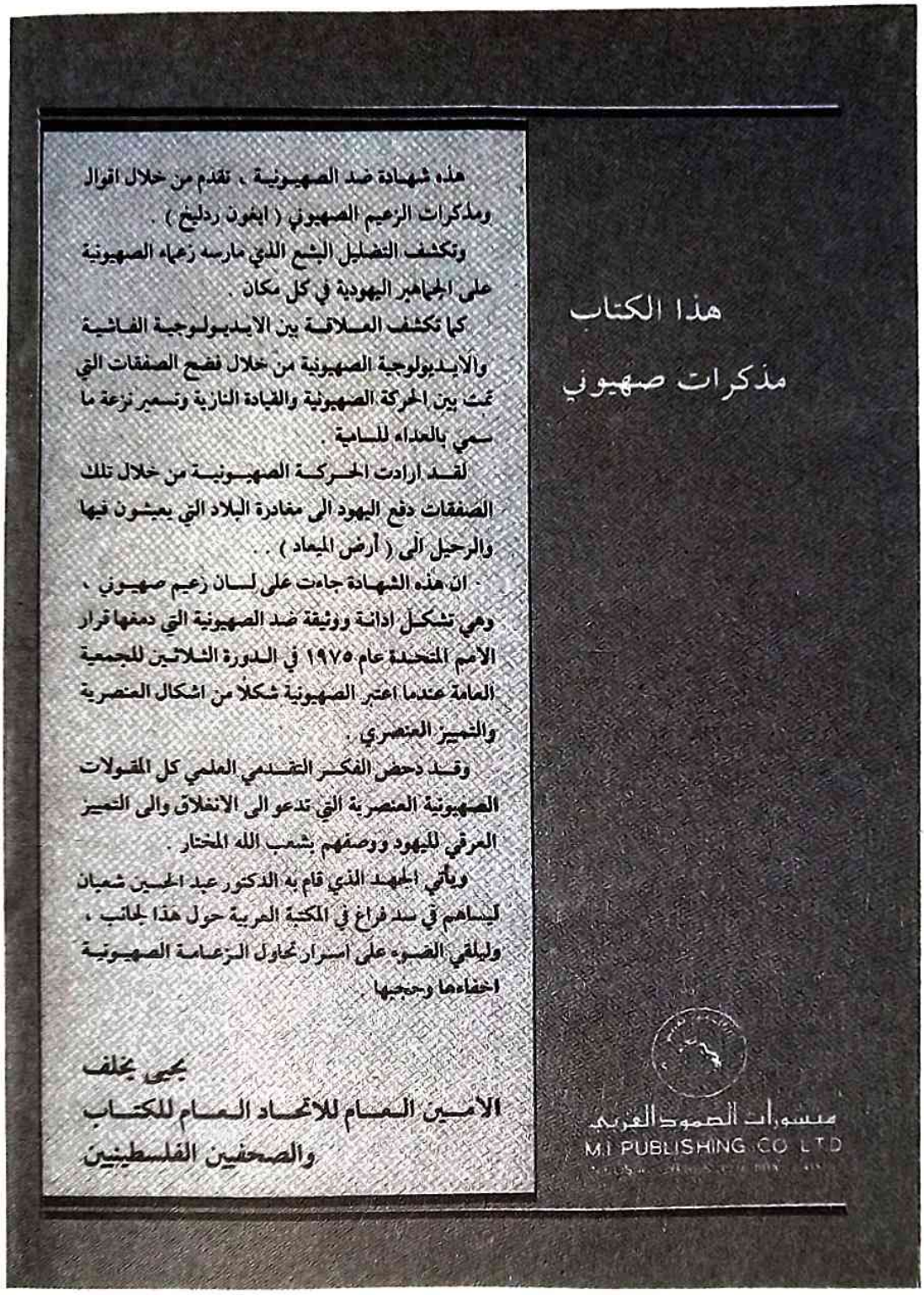

مذكرات صهيوني طبعة 1986

فهرس الأعلام

أ

- آدولف آيخمان: 33، 46، 47، 49، 61، 75، 86، 87، 88، 89، 90
- أَحمد الخطيب: 82
- أحمد غانم: 93
- أدولف هتلر: 32، 75، 89
- أرفين بيهم: 47
- إرنست موشي: 46، 47
- إسحاق رابين: 27
- ألبريت: 49
- ألفريد (فريدي) هيرش: 47
- إلياس: 68
- إميل توما: 31، 35، 38
- أندروبوف: 84، 96
- إنعام رعد: 13
- أوتو زوتسكر: 46، 48، 53، 56، 59، 77
- إيرليخ مونيك: 48
- أيسر هائيل: 33، 89
- إيغون بوبر: 42 ، 73
- إيغون ريدليخ: 9، 11، 13، 17، 18، 21، 23، 24، 30، 31، 32، 33، 34، 36، 39، 40، 41، 42، 45، 46، 47، 50، 51، 52، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 75، 77، 78، 82، 86، 91
- إيككنا وايس: 67

ب

- بافل: 45
- بانتيلييف: 65
- برنا باتسكوفا: 56
- برونو سفيتسكر: 65
- بريماكوف يفغيني: 29
- بسام أبو شريف: 11، 12، 82
- بسمارك: 34
- بن غوريون: 33
- بوستروم: 91، 94، 95، 96
- بيليخ: 65

ت

- توفيق زياد: 12
- تيريزا: 21
- تيسير قبعة: 12، 82
- تيودور هيرتزل: 26، 29، 34، 35، 36

ج

- الجواهري: 10
- جورج جبور: 13
- جورج حبش: 12، 14، 15، 16، 81، 82، 83، 84، 85، 91، 95
- جورجي كنعان: 31، 32

ح

- حاييم سكولوف: 31
- حسن الجلبي: 33
- حسين العامل: 16، 83
- حنا أرندت: 33، 88، 89، 90، 91

خ

- خالد عبد المجيد: 19
- خافيريما: 58
- خالوتسي: 50
- خليل الدبس: 11
- خليل نعوس: 11

د

- دوريس غروسدانوفيكا: 21

ر

- راينهارد هايدرش: 22
- روبرت: 45
- روبرت مندلر: 72، 73، 75، 77
- روجيه ديلورم: 30، 31
- رودولف كاستنر: 33

ز

- زييف فيليم شيك: 47

س

- سعد الله مزرعاني: 13
- سميح القاسم: 12
- سهيل الطويلة: 11
- سوياك: 40
- سيجموند أونغر: 67
- سيجموند سايدل: 48
- سيسيل رودس: 26، 27

ش

- شمران الياسري: 10

ص

- صابر محيي الدين: 11، 13، 82

ع

- عبد الحسين شعبان: 12، 13، 20، 37، 81، 85، 88، 91
- عبد الرحمن النعيمي: 13
- عبد الستار الدوري: 10
- عبد الفتاح إبراهيم: 10
- عبد الفتاح إدريس: 13
- عبد اللطِيف الشواف: 10
- عبد الهادي النشاش: 13
- عزيز الحاج: 10
- عصام الحافظ الزند: 17، 18

غ

- غازي حسين: 13
- غسان كنفاني: 11، 18

- غرتا باتسكوفا: 56
- غطاس أبو عيطة: 13
- غورباتشوف: 93
- غولدا مائير: 27، 28

ف

- فرانتيشك فايديان: 42
- فرانتيشك فوخس: 42
- فرنتيشيك فدلمان: 48
- فريدريخ براغر: 47
- فريدي هيرشيم: 73
- فلاديمير إيليتش لينين: 22، 36، 37، 38، 39، 85، 93
- فلاديمير بولتساكوف: 31
- فولف إرليخ: 39
- فيصل السامر: 10

ك

- كارل باوم: 41
- كارل رام: 49
- كارل شليسر: 48، 49
- كارل لوفنستيم: 49
- كارل ماركس: 37، 38
- كايز براون: 77
- كليمنت غودوالدوف: 15
- كورت فالدهايم: 94
- كيرت منفيلد: 89

ل

- لوتكا. ك: 58
- ليوبنسكر: 31

م

- ماريا الحافظ: 18
- مازن الحسيني: 17
- ماكابي هاكير: 9، 41، 50، 82
- ماكس ريدليخ: 45
- محمود درويش: 12، 18
- مروان دويري: 28
- مكي حسين: 19

- المهاتما غاندي: 15
- مهدي الحافظ: 10
- موريس صليبي: 39
- موريس كوهين: 35
- موسى: 61
- موسى أسد الكريم: 10، 15، 83
- موفق فتوحي: 17
- ميلينا دوناتوف: 45

ن

- ناجي علوش: 13
- نزار طرابلسي: 17
- نعمة النعمة: 10
- نعيم الأشهب: 17
- نوري عبد الرزاق: 10، 17
- نيلسون مانديلا: 27

هـ

- هانز شوستر: 74، 75
- هاني حبيب: 11
- هانيريك هملر: 22
- هوغو ريدليخ: 45، 56

و

- والتر إيزينغر: 65، 66
- وايزمن: 29

ي

- ياسر عرفات: 18
- ياكوب إيديلستين: 42، 46، 48، 56، 75
- يوري أندروبوف: 13
- يوري إيفانونف: 39
- ييرجي بوهاتكا: 9، 11، 15، 16، 17، 18، 21، 40، 41، 77، 82، 83، 86
- يفيسييف: 84، 91، 92، 93، 95